النُّقول فِي تَوجِيْهِ القِراءَةِ بَيْنَ الفَاعِلِ وَالمفعُول

أ. د. ليث قُهيِّر عبد الله خليل(١)

مُلخّصُ البَحْث

ينهض هذا البحث الموسوم بـ«النّقول في توجيه القراءة بين الفاعل والمفعول» بتتبع القراءات التي اختُلف في قراءتها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقد اعتَمَدَتْ أصولُه على قسم من هذه الاختلافات في القراءات، وليست كلّها، إذ جمع البحث القراءات الّتي يُقْرَأُ الاسم فيها تارة مرفوعاً، وتارة أخرى منصوباً، مع أنّ المسند إليه باقٍ على أصالته من غير تغيير، وإنّما التّغيير يطرأ على المسند فقط، ثمّ درس البحث هذه القراءات ووقف على توجيهاتها مبيّناً الرّاجح والمرجوح منها، مع عقد موازنة علميّة بين كلّ قراءة وأخرى.

وطريقة البحث مبنيّة على الاستقراء الدّقيق والمتابعة الجادّة حول القراءة وما يتعلّق بها؛ ليظهر البحث بالصّورة العلميّة الّتي يسعى الباحث إلى تحقيقها.

واللهَ تعالى أسأله التّوفيقَ والسّدادَ في القول والعلم والعمل، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

(١) جامعة الأنبار، كليّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة.

المقدّمة

الحمد لله الّذي أنزل القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مبين، فخاطب به الجنَّ والإنسَ أجمعين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [مريم: ٩٧]، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمّدٍ الصّادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ اللّغة الّتي كَتَبَ اللهُ لها الحفظَ والسّلامة، لابدّ لها من أن تتّصف بصفات تؤهّلها لهذه المشيئة، ولابدّ لها أن تخاطبَ الصّغيرَ قبل الكبير، والجاهلَ قبل العالم، ناهيك عن مخاطبتها العدوّ قبل الصّديق.

إنّها اللّغةُ العربيّةُ الّتي نزل بها كلامُ ربّ العالمين، فخاطبتِ العبادَ على مختلف لهجاتهم، وطبيعةِ نطقهم، فهؤلاء يَقرؤونَ بقراءة تختلف عن قراءة هؤلاء، وهؤلاء يقدّمون، وهؤلاء يؤخّرون، وكلّهم يقرؤون كلام ربّ العالمين، وكلّه ثَبَتَ عن النّبيّ محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن اختلفت الرّوايات، واختلفت الطّرق، مع صحّتها، وثبْتِ سندِها؛ لذا سمعنا قراءة تُقرَأُ على طريقة تختلف عن غيرها، وهذا الاختلاف ليس مبنيّاً على أصول واهية، وإنّما معتمدة على أصول ثابتة.

وبحثي هذا الموسوم بـ «النّقول في توجيه القراءة بين الفاعل والمفعول» اعتَمَدَتْ أصولُه على قسم من هذه الاختلافات في القراءات، وليست كلّها، إذ جمع البحث القراءات الّتي يُقْرَأُ الاسم فيها تارة مرفوعاً، وتارة أخرى منصوباً، مع أنّ المسند إليه باقٍ على أصالته من غير تغيير، وإنّما التّغيير يطرأ على المسند فقط.

والّذي دفعني إلى كتابة هذا الموضوع ما سمعته من قراءة إمام الجامع في الصّلاة، قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، إذ قَرَأَ حينها برفع ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾، فاستوقفني ما سمعته، وقلت: لعلّها قراءة، فرجعت إلى مكتبتي، وفتّشت

في كتاب معجم القراءات، فلم أقف على قراءةٍ برفع ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾، ثمّ أمعنت النّظر في آيات أُخر؛ فوجدتها قد قرئت برفع المفعول ونصب الفاعل، ووجدت أنّ جمعها، وبيان توجيهها، وأقوال العلماء فيها يصلح أن يكون بحثاً.

أمّا هدف البحث فيتضمّن بيانَ تنوع القراءات وكثرة قرّائها، وعدم الحكم على صاحبها بالخطأ أو السّهو إلّا بعد الوقوف على هذه القراءة ومعرفة أصلها، ولا سيّما في زمنٍ كثر فيه القرّاء، وتباينت فيه لغاتهم ومواطن إقامتهم.

أمّا من حيث الدّراساتُ السّابقة، فلم أقف على كتاب تضمّن هذا العنوان: «النّقول في توجيه القراءة بين الفاعل والمفعول»، أو درس المضمون دراسة مستفيضة جمَعَت ما قيل فيها مِن آراء، أو رَجّحَت ما هو مناسب منها، إنّما وقفت على إشارات متناثرة في كتب القراءات والتّفسير والنّحو وإعراب القرآن، وأمّا الكتابان: «الدّرر النّاثرة في توجيه القراءات المتواترة»، تأليف: أبي العبّاس أحمد بن محمدّ (١٢٢٤هـ)، و«تيسير الغفور الودود في توجيه قراءة الإمام عاصم بن أبي النّجود»، تأليف: سيّد لاشين أبو الفرح، فبعيدان من حيث المضمون عمّا ذكرته في دراستي، لذا عقدتُ العزمَ وتوكّلتُ على الله في الكتابة والبحث، فجمعتُ ما تناثر، ودرستُ ما فيه حتّى وصل إلى ما وصل إليه، والحمد لله ربِّ العالمين.

أمّا خطة البحث فتضمّن: مقدّمةً، وتمهيداً، وأربعةَ مباحث:

تضمّن المبحث الأوّل: توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وهما ظاهران.

والثّاني: توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وحذف الفاعل.

والثّالث: توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً، وحذف المفعول.

والرّابع: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: توجيه ما قرئ بجعل ما ناب عن الفاعل مفعولاً.

والمطلب الثّاني: توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً، وحذف المفعول.

والمطلب الثّالث، وفيه مسألتان:

المسألة الأُولى: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الأوّل المنصوب مرفوعاً.

المسألة الثّانية: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الثّاني المنصوب مرفوعاً.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله وسلّم على نبيّه محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التّمهيد

العنوان تعريفه ودلالته

قبل أن أبدأ حديثي عن العنوان: تعريفه ودلالته، لا بد من الحديث عن القراءات الّتي جمعها هذا البحث، إذ جمع أربعاً وعشرين قراءة، وهي تنقسم على قسمين:

أحدهما: القراءات المشهورة المتواترة، وهي ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة ابن كثير: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بنصب ﴿ءَادَمَ﴾، ورفع ﴿كَلِمَٰتٌ﴾، وقراءة الجمهور: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، برفع ﴿ءَادَمُ﴾، ونصب ﴿كَلِمَٰتٍ﴾.

القراءة الثّانية: قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، بنصب لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾، وقراءة الجمهور برفعه.

القراءة الثّالثة: قراءة نافع، وأبي جعفر: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، بنصب ﴿سَبِيلَ﴾، وقراءة الجمهور برفعه.

والقسم الآخر: القراءات الشاذّة، وتنقسم على قسمين:

أحدهما: قراءات منسوبة إلى قرّائها، وهي:

١. ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] برفع «إِبْرَٰهِـۧمَ»، ونصب «رَبُّهُۥ»، وهي قراءة ابن عبّاس، وأبي الشّعثاء، وأبي حنيفة، وأبي حَيْوة، أمّا قراءة الجمهور، فعلى نصب ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، ورفع ﴿رَبُّهُۥ﴾.

٢. ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] برفع ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي رجاء، وطلحة بن مصرِّف، وقتادة، والأعمش، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبها.

٣. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة، وهي قراءة إبراهيم النّخعيّ، ويحيى بن وثّاب، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

٤. ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] برفع ﴿وُجُوهَهُمُ﴾ ونصب ﴿ٱلنَّارُ﴾، وهي قراءة ابن مسعود، وأمّا قراءة الجمهور فعلى عكس ذلك.

٥. ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣] برفع ﴿رَبَّهُۥٓ﴾، وهي قراءة أُبيّ بن كعب، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

٦. ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧] برفع لفظ الجلالة، ونصب ﴿لُحُومُهَا﴾، وهي قراءة زيد بن عليّ، وأمّا قراءة الجمهور، فعلى عكس ذلك.

٧. ﴿تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الروم: ٢٨] برفع ﴿أَنفُسَكُمۡ﴾، بإضافة المصدر إلى مفعوله، وهي قراءة ابن أبي عبلة، وأما قراءة الجمهور فبنصبه، بإضافة المصدر إلى فاعله.

٨. ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] برفع لفظ الجلالة، ونصب ﴿ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وقد اختلف العلماء في نسبتها، فمنهم من نسبها إلى أبي حنيفة، ومنهم من نسبها إلى طلحة بن مصرّف، ومنهم من نسبها إلى عمر بن عبد العزيز، ومنهم من نسبها إلى ابن سيرين، ومنهم من نسبها إلى أبي حَيْوَة، وأمّا قراءة الجمهور فعلى عكس ذلك.

٩. ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] برفع ﴿ٱلدِّينَ﴾، وقد نسبت إلى ابن أبي عبلة، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

١٠. ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] برفع ﴿يَوۡمَ﴾ وقد نسبت إلى أُبيّ بن كعب، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

١١. ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] برفع ﴿كَلِمَةَۢ﴾، و﴿بَاقِيَةٗ﴾، وهي قراءة حُميد بن قيس، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

١٢. ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ [القيامة: ٣٩] برفع ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾، وقد نسبت إلى زيد بن عليّ، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

١٣. ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] برفع ﴿ضَآلًّا﴾، وقد نسبت إلى الحسن البصريّ، وأمّا قراءة الجمهور فبنصبه.

والقسم الآخر من القراءات الشّاذّة: لم تنسب إلى قارئ معيّن، وهي:

١. ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣] برفع ﴿يَعْقُوبَ﴾، ونصب ﴿ٱلْمَوْتُ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فعلى عكس ذلك.

٢. ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦] بنصب ﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

٣. ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] بنصب ﴿صِدْقُهُمْ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

٤. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] بنصب ﴿عَيْنَاكَ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

٥. ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الفرقان: ٣٢] بنصب ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

٦. ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ [سبإ: ١٤] بنصب ﴿ٱلْجِنُّ﴾، وأمّا قراءة الجمهور فبرفعه.

أمّا عنوان البحث فهو: «**النّقول في توجيه القراءة بين الفاعل والمفعول**».

والنّقول: جمع نقل، وهو ما نصّ عليه العلماء من أقوال، من (نَقَل ينقل)، ونَقَل الكلام: بلّغه عن قائله[1]، فالبحث إذن مبنيّ على نقول مختصّة بما ذكره العلماء من آراء في توجيه هذه القراءات.

أمّا معنى قراءة الفاعل والمفعول، فكلّ قراءة تحوَّل فيها الفاعل في الأصل إلى مفعول، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] برفع ﴿ءَادَمُ﴾، ونصب ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ قرئت: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾، على جعل الفاعل في الأصل

(١) الأفعال (٣/٢١٦).

مفعولاً، أو تحوّل فيها الفاعل إلى مفعولٍ مع حذف الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ برفع ﴿ٱلْجِنُّ﴾، قرئت: «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنَّ» - بنصب «ٱلْجِنَّ» على تقدير: فلمّا تبيّنت الإنسُ الجنَّ، أو تحوّلَ فيها المفعول إلى فاعل مع حذف المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٥٦]، قرئت: «وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهُ»، وما شابهها من القراءات الّتي تحوَّلَ فيها الفاعل إلى مفعول، والعكس كذلك، سواء تقدّم المفعول أو تأخّر، فهذه التّغيرات في حركة وتوجيه الفاعل والمفعول، تجري مع بقاء الفعل على أصالته من غير تغيير؛ لذا أبعدتُ قسماً من القراءات الّتي تحوَّلَ بناءُ الفعلِ فيها من المعلوم إلى المجهول أو العكس؛ لأنّ الاسم بعدها يتأثّر بهذا التّغيير، وهذا ليس مجاله في هذا البحث لما ذَكرتُه، وسأعرّف بالقرّاء فقط دون غيرهم، لنقف على علميّتهم ومكانتهم.

واللهَ تعالى أسأل التّوفيق في العلم والعمل، وصلّى اللهُ وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأوّل
توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وهما ظاهران

أوّلاً: قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

قرأ الجمهور[١]: ﴿ءَادَمُ﴾ بالرّفع، و﴿كَلِمَٰتٍ﴾ بالنّصب، على جعل «ءَادَمُ»، هو المتلقّي للكلمات، وجعل «كَلِمَٰتٍ» بالنّصب مفعولاً به للفعل «فَتَلَقَّىٰ»[٢].

قال النحّاس: «﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ﴾، رفع بفعله، ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ نصب بالفعل»[٣].

وذكر أبو عبيدة أنّ معنى: «فَتَلَقَّىٰ» أي: قبِلَها وأخذها عنه[٤]، كأنّ اللهَ أوحى إليه أن يستغفره ويستقبله بكلام من عنده، ففعل ذلك آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فتاب اللهُ عليه[٥].

قال الزّمخشريّ: «معنى تلقّي الكلمات، استقبالُها بالأخذ والقبول، والعمل بها حين علمها»[٦].

وهذه القراءة - أعني قراءة رفع ﴿ءَادَمُ﴾، ونصب ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ - في العربيّة أقوى؛ لأنّ «آدم» تعلّم هذه الكلمات فقيلَ: تَلقَّى هذه الكلماتِ، والعرب تقول: تلقّيت هذا من فلان[٧].

فعِلّةُ مَن قرأَ بهذه القراءة: «أنّه جعل «آدم» هو الّذي تلقّى الكلمات؛ لأنّه هو الّذي قَبِلَها ودعا بها، وعمل بها، فتاب اللهُ عليه، فهو الفاعل لقبوله الكلمات»[٨].

---

(١) ينظر: السّبعة في القراءات (١٥٤)، والحجّة في القراءات السّبع (٧٥)، ومعاني القراءات (١٤٧/١).
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١٦/١).
(٣) إعراب القرآن للنحّاس (٢١٥/١).
(٤) ينظر: مجاز القرآن (٣٨).
(٥) ينظر: غريب القرآن (٤٦).
(٦) الكشّاف (١٢٨/١).
(٧) ينظر: المصدر نفسه.
(٨) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها (٢٣٧/١).

وقرأ ابنُ كثير[1]: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، بنصب «ءَادَمَ»، ورفع «كَلِمَٰتٌ»، وهي من القراءات المتواترة[2].

قال الأخفش: «وقد قرأ بعضُهم: «آدَمَ» نصباً، ورفع «الكلمات»؛ جعلهنّ المتلقّيات»[3]، يعني: استقبلته كلماتٌ من ربّه[4]، «فالتلقّي من الكلمات هو نيل آدم بسببها رحمةَ الله وتوبته»[5].

وقد اختلف علماء التّفسير واللّغة في موقفهم من هذه القراءة على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: لا يرى اختلافاً بين القراءتين من حيث المعنى، وهو قول الفرّاء إذ قال: «وقد قرأ بعضُ القرّاء: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾، فجعل الفعل للكلمات، والمعنى - والله أعلم - واحد؛ لأنّ ما لقيك فقد لقيته، وما نالك فقد نلته»[6].

وتبعه في هذا القول أبو زُرْعة[7]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[8]، والرّازيُّ[9]، والعكبريُّ[10]، والقرطبُّي[11]، والبيضاويُّ[12]، وأبو حيّان[13]، والزّركشّي[14].

(١) هو أبو مَعْبد عبد الله بن كَثِيرِ بن المطّلب بن عمرو بنِ عبد الله بن زَاذَانَ بنِ فَيْرُوزَ بن هُرْمُزَ الدَّارِيِّ الْمَكِّيِّ، أحد القرّاء السّبعة، كان قاضي الجماعة بمكّة، وإمام المكّيّين في القراءة، توفّي في مكّة سنة (١٢٠هـ). تنظر ترجمته في: معرفة القرّاء الكبار (١٤٩/١)، وغاية النّهاية في طبقات القرّاء (٤٤٣/١).

(٢) ينظر: السّبعة في القراءات (١٥٤)، والحجّة في القراءات السّبع (٧٥)، ومعاني القراءات (١٤٧/١)، والمبسوط في القراءات العشر (١٢٩).

(٣) معاني القرآن (٧٤/١).

(٤) ينظر: بحر العلوم (٤٥/١).

(٥) ينظر: المحرّر الوجيز (١٣٠/١).

(٦) ينظر: معاني القرآن (٢٨/١).

(٧) ينظر: حجّة القراءات (٩٤).

(٨) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن (٧٥/١).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب (٤٦٥/٣).

(١٠) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٥٤/١).

(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/١).

(١٢) ينظر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (٧٣/١).

(١٣) ينظر: البحر المحيط (٢٦٧/١).

(١٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٠/٣).

فأصل التلقّي، هو التّعرّض للّقاء، ثمّ يوضع في موضع الاستقبال للشّيء الجائي ثمّ يوضع موضع القبول والأخذ، ويقال: تلقّينا الحجّاجَ؛ أي: استقبلناهم، ويقال: تلقّيت هذه الكلمةَ من فلان، أي: أخذتها منه، وإذا كان هذا أصل الكلمة، وكان من تلقّى رجلاً فتلاقيا، لقي كلُّ واحدٍ صاحبَه، فأضيف الاجتماعُ إليهما معاً؛ صلح أن يشتركا في الوصف بذلك، فيقال: كلّ ما تلقّيته فقد تلقّاك، فجاز أن يقال: تلقّى آدمُ كلماتٍ، أي: أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول، وجاز أن يقال: تلقّى كلماتٌ بالرّفع على معنى: جاءته عن الله كلمات[1].

إذن القراءتان ترجعان إلى معنى واحد؛ لأنّ «آدم» إذا تلقّى الكلماتِ فقد تلقّته، فتصِحُّ نسبةُ الفعلِ إلى كلِّ واحدٍ منهما لـ «آدم»، أو للكلمات[2].

قال ابن خالويه: «والحجّة لمن نصب «آدم» أن يقول: ما تلقّاك فقد تلقّيته وما نالك فقد نلته، وهذا يسمّيه النّحويّون: المشاركة في الفعل»[3]؛ فأيّهما رفعته كان فاعله، وأيّهما نصبته كان مفعوله، وهذا قول أبي البركات ابن الأنباريّ أيضاً، إذ قال: «وإسناد هذا الفعل إلى كلّ واحدٍ منهما جائزٌ، كإسناده إلى الآخر»[4].

ومن أصحاب هذا القول مَن يرى أنّ علّة نصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أنّه لما كانت الكلمات هي المُنقِذَة لـ «آدم» - بتوفيق الله تعالى له - لقبوله إيّاها ودعائه بها، كانت الكلمات فاعلةً، وكأنّ الأصل على هذه القراءة: فتلقّت آدمَ من ربّه كلماتٌ، ولكن لما بَعُد ما بين المؤنّث وفعله حسن حذف علامة التّأنيث[5]. قال مكّي القيسيّ: «وعلّة من نصب «آدم»، ورفع «الكلمات»، أنّه جعل الكلمات استنقذت «آدم» بتوفيق الله له، لقوله إيّاها، والدّعاء بها، فتاب اللهُ عليه، فكانت هي الّتي أنقذته، ويسّرت له التّوبةَ من الله، فهي الفاعلة، وهو المستنقَذُ بها»[6].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٤٦٥/٣)، واللّباب في علوم الكتاب (٥٧٥/١).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/١)، والدّرّ المصون (٢٩٤/١).
(٣) الحجّة في القراءات (٧٥).
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (٧٥/١).
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/١)، والدّرّ المصون (٢٩٤/١)، واللّباب في علوم الكتاب (٥٧٥/١).
(٦) الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها (٢٣٧/١).

القول الثّاني: وأصحابه على قولين[1]:

أحدهما: رجّح قراءة رفع «آدمُ»، ونصب «الكلمات»، واختارها على قراءة ابن كثير، وجعلها في العربيّة أقوى، وهو قول الزّجّاج، إذ قال: «وقرأ ابنُ كثير: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾، والاختيار ما عليه الإجماع، وهو في العربيّة أقوى؛ لأنّ «آدمَ» تعلّم هذه الكلمات، فَقِيلَ: تَلقَّى هذه الكلماتِ، والعرب تقول: تلقّيت هذا من فلان»[2]. وتبعه أبو منصور الأزهريّ، إذ قال: «والقراءة الجيّدة ما عليه العامّة»[3].

والآخر: لم يجوّز قراءة نصب «آدم»، ورفع «كلمات»، وهو قول الطّبريّ، إذ قال: «وقد قرأ بعضُهم: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾، فجعل الكلمات هي المتلقّية «آدم»، وذلك - وإن كان من جهة العربيّة جائزاً - إذْ كان كلّ ما تلقّاه الرّجل فهو له مُتلقّ، وما لقيه فقد لَقيه، فصار للمتكلّم أن يُوجّه الفعلَ إلى أيّهما شاء، ويخرج من الفعل أيهما أحبّ - فغير جائز عندي في القراءة إلّا رفع «آدم» على أنّه المتلقّي الكلمات؛ لإجماع الحجّة من القَرَأة وأهل التّأويل من علماء السّلف والخلف، على توجيه التلقّي إلى «آدم» دون الكلمات؛ وغيرُ جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة، بقول من يجوز عليه السّهو والخطأ»[4].

القول الثّالث: يرى أصحابُه أنّ القراءة في الأصل ما عليه الجمهور برفع «آدم» ونصب «كلمات»، ولكنّه نصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ لأمن اللّبس، فقد عُلم مَن الفاعل ومَن المفعول، فخرّج ذلك على قول النّحاة: «خرق الثّوبُ المسمارَ» إذا علم من الخارق ومن المخروق، قال ابن مالك:

«ورفع مفعولٍ بهِ لا يلتبسْ ... مع نصبِ فاعلٍ رَوَوا فلا تَقِسْ

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/١١٦)، ومعاني القراءات (١/١٤٧).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/١١٦).
(٣) معاني القراءات (١/١٤٧).
(٤) جامع البيان (١/٥٤٢).

... وقد يحملهم ظهور المعنى على إعراب كلّ واحد من الفاعل والمفعول به بإعراب الآخر كقولهم: (خرق الثّوبُ المسمارَ)»[1]، وهذا لا يقاس؛ لأنّ الفاعل لا ينصب إلّا شذوذاً، وجعله ابن الطّراوة قياساً مطّرداً[2].

ويمكن القول: إنّه إذا فُهم المعنى، وتبيّن الفاعلُ من المفعول؛ فإنك ترفع ما شئتَ وتنصب ما شئتَ وليس بمقيس، إذ قال الشّيخ خالد الأزهريُّ: «وقد ينصب شذوذاً إذا فُهِم المعنى، سُمِع من كلامهم: خرقَ الثّوبُ المسمارَ، وكَسر الزّجاجُ الحجرَ، برفع أوّلهما، ونصب ثانيهما، وجعله ابن الطّراوة قياساً مطّرداً، واستأنس له بعضُهم بقراءة عبد الله بن كثير: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾، بنصب «آدم»، ورفع «كلمات»»[3]. فنصْبُ الفاعلِ ورفعُ المفعولِ قياسٌ مطّردٌ عند ابن الطّراوة عملاً بقراءة ابن كثير، يقول الخُضَريُّ: «وقاسه ابن الطّراوة عملاً بقراءة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ﴾»[4].

وجعل ابنُ هشام هذا التّوجيه من مُلَح كلام العرب، وأطلق عليه مصطلح: «تقارض اللّفظين في الأَحكام» كإعطاء الفاعل إعراب المفعول، وعكسه عند أمن اللّبس مثل: «خرق الثّوبُ المسمارَ»، و«كَسرَ الزّجاجُ الحجرَ»، وأورد مجموعة من الشّواهد الشّعريّة أمثلة على ذلك، إذ قال: «من ملح كلامهم تقارض اللّفظين في الأحكام، ولذلك أمثلة... والثّامن إعطاء الفاعل إعراب المفعول وعكسه عند أمن اللّبس كقولهم: خَرقَ الثّوبُ المسمارَ، وكَسرَ الزّجاجُ الحجرَ»[5].

والّذي أراه - بعد ذكر الأقوال في هذه المسألة - أنّ القراءتين بمعنًى واحد، وهو قول الفرّاء وتبعه الكثير من علماء التّفسير واللّغة، والقراءتان صحيحتان متواترتان، الأُوْلى قراءة الجمهور، والأخرى تفرّد بها ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن كثير عالم من علماء

(١) شرح الكافية الشّافية (٦١٢/٢).
(٢) ينظر: شرح التّصريح على التّوضيح (٣٩٥/١)، وحاشية الخُضَريّ على ابن عقيل (٣٥٦/١).
(٣) شرح التّصريح على التّوضيح (٣٩٥/١).
(٤) حاشية الخُضَريّ على ابن عقيل (٣٥٦/١).
(٥) مغني اللّبيب (٩١٥/١).

القراءات، وأحد القرّاء السّبعة، وإمام المكّيّين في القراءة، الّذي قيل فيه: «مَن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير»(١)، فلا يحقّ لأحدٍ أن يرميَه بالسّهو، أو الخطأ في هذا الجانب، كما فعل ذلك ابن جرير الطّبريّ(٢)، أو بالضّعف، كما فعل مكّي القيسيّ، إذ قال: «وفي تقديم «آدم» على «الكلمات» تقوية أنّه الفاعل»(٣)، وكأنّه ينفي مسألة التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، أو أن يجعل من هذه القراءة مرجوحة وغيرها راجحة، كما فعل ذلك أبو إسحاق الزّجّاج(٤).

وأمّا الّذين خرّجوا هذه القراءة على قول مَن قال: إذا أمن اللّبس فيجوز نصب الفاعل ورفع المفعول كما في قولنا: «خرق الثّوبُ المسمارَ»، فلا يعدّ قياساً مطّرداً، كما قال به ابنُ الطّراوة بل هو شاذّ، ولا يجوز تخريج كلام ربّ العالمين على الشّاذ، والله تعالى أعلم.

ثانياً: قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قرأَ الجمهورُ(٥): ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾، بنصب الأوّل ورفع الثّاني، على تقديم المفعول وتأخير الفاعل، وعلّة التّقديم - في رأي النّحاة - «من أجل الضّمير الّذي لا يجوز تقديمه قبل الذّكر»(٦).

قال ابن هشام: «الجمهور يوجبون في ذلك في النّثر تقديم المفعول نحو: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، ويمتنع بالإجماع نحو: صَاحبُها في الدَّار؛ لاتصال الضّمير بغير الفاعل، ونحو: ضَرب غلامَها عبدُ هِنْد؛ لتفسيره بغير المفعول، والواجب فيهما تقديم الخبر والمفعول»(٧).

---

(١) غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٧٥/١).
(٢) ينظر: جامع البيان (٥٤٢/١).
(٣) الكشف عن وجوه القراءات (٢٣٧/١).
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١٦/١).
(٥) ينظر: بحر العلوم (٩٠/١)، والهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٢٣/١)، والكامل في القراءات (٤٩١)، والكشّاف (٢٠٩/١)، ومفاتيح الغيب (٣٤/٤).
(٦) نتائج الفكر (١٣٣).
(٧) مغني اللّبيب (٦٣٩/١).

وذكر الرّازيُّ العلّة البلاغيّة في تقديم المفعول على الفاعل، إذ قال: «والسّبب في تقديم المفعول، هو أنّهم يقدّمون الأهمّ، والّذي هم بشأنه أعنى»(١).

وعلى هذه القراءة يكون المبتلى هو «إبراهيم» عَلَيْهِ السَّلَامُ الّذي كلّفه اللهُ بالأوامر والنّواهي، قال الأخفش: «أي: اختبره، و«إبراهيمَ» هو المبتلى؛ فلذلك انتصب»(٢)، وتبعه أبو اللّيث السّمرقنديُّ، إذ قال: «﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، أي اختبره، والاختبار من الله تعالى أن يظهر حاله ليستوجب الثّواب؛ لأنّ الله تعالى لا يعطي الثّواب والعقاب بما يعلم ما لم يظهر منه ما يستوجب الثّواب والعقاب، كما علم من إبليس الكفر، ولم يلعنه ما لم يختبره ويظهر منه ما يستوجب به اللّعنة والعقوبة»(٣). والابتلاء في الأصل التّكليف بالأمر الشّاق من البلاء، لكنّه لمّا استلزم الاختبار بالنّسبة إلى من يجهل العواقب ظنّ ترادفهما، وابتلاء الله ليس ليعلم أقوالهم بالابتلاء؛ لأنّه تعالى عالم بجميع المعلومات على سبيل التّفصيل من الأَزَلِ إلى الأبد، ولكن ليعلم النّاسُ أحوالهم حتّى يعرف بعضُهم بعضاً(٤)، فـ «إبراهيم» - على هذه القراءة - مفعولٌ مقدَّمٌ، وهو واجبُ التّقديم عند جمهور النّحاة(٥)؛ لأنّه متى اتّصل بالفاعل ضميرٌ يعودُ على المفعول وجب تقديمُه لئلّا يعودَ الضّميرُ على متأخّر لفظاً ورتبة هذا هو المشهورُ(٦)، وما جاءَ على خلافه عَدّوه ضرورةً(٧).

وقرأَ ابنُ عبّاسٍ، وأبو الشّعثاء(٨)،.....

(١) مفاتيح الغيب (١٥٩/١٣)، وينظر: الكتاب (٣٤/١)، ونتائج الفكر (٢٠٨).
(٢) معاني القرآن (١٥٤/١).
(٣) بحر العلوم (٩٠/١).
(٤) ينظر: اللّباب في علوم الكتاب (٤٤٧/٢).
(٥) ينظر: نتائج الفكر (١٣٣)، والبحر المحيط (٦٠٠/١).
(٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (١٥٩/١).
(٧) ينظر: الأصول في النّحو (٢٣٨/٢)، والخصائص (٢٩٥/١)، ونتائج الفكر (١٣٣)، ومغني اللّبيب (٦٣٩/١).
(٨) هو جابر بن زيد الأزديّ البصريّ، أبو الشّعثاء، تابعيّ فقيه، من الأئمّة من أهل البصرة، توفّي في سنة (٩٣هـ). تنظر ترجمته في: تذكرة الحفّاظ (٣٨/٢)، وحلية الأولياء (٨٥/٣).

وأبو حنيفة، وأبو حَيْوَة[١]: «إِبْرَٰهِـۧمُ رَبُّهُۥ»، برفع «إبراهيم»، ونصب «ربّه»[٢].

واختلف علماءُ التّفسير واللّغة في هذه القراءة على مذهبين[٣]:

المذهب الأوّل: وهم الّذين قَبِلوا هذه القراءة ووجّهوها بما يناسبها من أقوال من غير مفاضلة، وهؤلاء على أربعة أقوال[٤]:

القول الأوّل: إنّ الابتلاء هنا بمعنى: الاختبار، على معنى: اختبر ربّه هل يستجيب دعاءه، ويتخذه خليلاً أم لا؟ وهو قول ابن محمّد الجوزيّ[٥].

القول الثّاني: ذكره مكّي القيسيّ، إذ قال: «وقيل: الفاعل «إبراهيم» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخبره اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما سبق في علمه فيه؛ ليكون الامتحان موجوداً معقولاً، فتقع عليه المجازاة والثّواب، إذ لا يقع جزاء على ما في علم الله تعالى دون ظهوره من العبد، فأَخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنّه أتمّهنّ هنا، وقال في غير هذا الموضع: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]»[٦].

والّذي أراه أنّ الابتلاء هنا بمعنى: الاختبار والامتحان أيضاً، والله تعالى أعلم.

القول الثّالث: إنّ الابتلاء هنا بمعنى: الدّعاء، وهو قول الزّمخشريّ، إذ قال: «المعنى أنّه دعاه بكلمات من الدّعاء، فِعْلَ المختبر هل يجيبه إليهنّ أم لا؟»[٧]، وتبعه الرّازيُّ[٨]، والبيضاويُّ[٩]، وأبو حيّان[١٠]، والسّمين الحلبيُّ[١١].

---

(١) هو شريح بن يزيد، أبو حيوة الحضرميّ الحمصيّ، صاحب القراءة الشّاذّة، ومقرئ الشّام، توفّي في سنة (٢٠٣هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٣٢٥/١).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٢٣/١)، والكامل في القراءات (٤٩١)، والكشّاف (٢٠٩/١)، ومفاتيح الغيب (٣٤/٤).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٢١/١)، والكشّاف (٢٠٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٢١/١)، وزاد المسير (١٠٨/١)، والكشّاف (٢٠٩/١).

(٥) ينظر: زاد المسير (١٠٨/١).

(٦) الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٢١/١).

(٧) الكشّاف (٢٠٩/١).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/٤).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (١٠٤/١).

(١٠) ينظر: البحر المحيط (٦٠٠/١).

(١١) ينظر: الدّرّ المصون (٩٨/٢).

وذكر البيضاويُّ أنّ الدّعاء هو سؤاله: أرني كيف تحي الموتى، واجعل هذا البلد آمناً، إذ قال: «وقُرِئَ: «إِبْرَٰهِـۧمُ رَبُّهُۥ» على أنّه دَعَا ربَّه بكلماتٍ، مثل: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، و﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ ليرى هل يجيبه»[١].

وذكر أبو حيّان أنّ الابتلاء هنا أُطلِق مجازاً والمراد به الدّعاء، إذ قال: «معناها: أنّه دَعَا رَبَّهُ بكلماتٍ من الدُّعاءِ يتطلَّبُ فيها الإجابةَ، فأُطلِقَ على ذلك ابتلاءٌ على سبيل المجاز؛ لأنّ في الدّعاءِ طَلَبَ استكشافٍ لِمَا تَجري به المقاديرُ على الإنسانِ»[٢].

وهذا القول شبيه بالقول الأوّل، إلّا أنّ الأوّل جعل الاختبار أساساً للدّعاء، وهذا القول جعل الدّعاء أساساً للاختبار، والله تعالى أعلم.

القول الرّابع: أنّ الابتلاء هنا بمعنى السّؤال، وهو قول مقاتل[٣]، وأبي منصور الماتريديّ، قال أبو منصور: «وفيه لغة أُخرى: «وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمُ» بالرّفع، «رَبُّهُۥ» بنصب الباء، ومعناه - والله أعلم - أنّه سأَل ربَّه بكلماتٍ فأعطاهُنّ - وهو تأْويل مقاتل - وهو أنه قال: اجعلني للنّاس إماماً، قال: نعم، قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، قال: نعم، قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، قال: نعم، قال: و﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، قال: نعم، قال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، قال: نعم، مثل هذا سأَل ربَّه هذا فأَعطاهنّ إيّاه»[٤].

وهذا القول شبيه بالقولين الأوّل والثّالث من الأقوال، والمراد منها جميعاً الطّلب، والله تعالى أعلم.

---

(١) أنوار التّنزيل (١٠٤/١).
(٢) البحر المحيط (٦٠٠/١).
(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٥/١).
(٤) تأويلات أهل السّنّة (٥٥٥/١).

المذهب الآخر: وأصحابه على قسمين[١]:

أحدهما: يرى أنّ ما ذكره العلماء في توجيه قراءة من قرأ: «إِبْرَٰهِـۧمُ رَبَّهُۥ»، برفع «إِبْرَٰهِـۧمُ»، ونصب «رَبَّهُۥ» - فيه بُعْدٌ، وهو قول القرطبيّ، إذ قال: «وقراءة العامّة ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بالنّصب، ﴿رَبُّهُۥ﴾ بالرّفع... وروي عن جابر بن زيد أنّه قرأ على العكس، وزعم أنّ ابن عباس أقرأه كذلك، والمعنى: دعا إبراهيمُ ربَّه وسأل، وفيه بعدٌ؛ لأجل الباء في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾»[٢].

والآخر: يرجّح بين القراءتين، ويرى أنّ القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور، بنصب ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، ورفع ﴿رَبُّهُۥ﴾ - هي المختارة على القراءة الثّانية، وهو ترجيح أبي القاسم الهذليّ، إذ قال: «وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبَّهُۥ» - برفع الميم، ونصب الباء - أبو حنيفة، يعني: اختبره هل يستجيب له دعاءه ويتخذه خليلاً أم لا؟ الباقون بنصب الميم، ورفع الباء، وهو الاختيار لموافقة الجماعة»[٣].

والّذي أراه في توجيه من قرأ: «إِبْرَٰهِـۧمُ رَبَّهُۥ» أن يكون على الدّعاء فهو أقرب، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: **قول الله تعالى**: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]:

قرأ الجمهور[٤]: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ - بنصب ﴿يَعْقُوبَ﴾؛ كونه مفعولاً مقدّماً، ورفع ﴿ٱلْمَوْتُ﴾؛ كونه فاعلاً مؤخّراً. قال العُكْبَرِيُّ: «والجمهورُ على نصب: ﴿يَعْقُوبَ﴾ ورفع: ﴿ٱلْمَوْتُ﴾»[٥].

(١) ينظر: الكامل في القراءات (٤٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).
(٣) الكامل في القراءات (٤٩١).
(٤) ينظر: مختصر ابن خالويه (١٠)، والتّبيان في إعراب القرآن (١١٨/١)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٢٠٨/١)، والدّرّ المصون (١٢٩/٢).
(٥) التّبيان في إعراب القرآن (١١٨/١).

وفي تقديمه فائدة على مذهب سيبويه، إذ قال: «فإن قدّمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعلَ، جرى اللّفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّراً ما أردت به مقدَّماً، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإن كان مؤخّراً في اللّفظ، فَمن ثمَّ كان حدّ اللّفظ أن يكون فيه مقدَّماً، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعنِيانهم»[1].

وقد اختلف المفسِّرون في بيان معنى الآية على هذه القراءة على خمسة أقوال[2]:

القول الأوّل: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿**إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ**﴾، أي: نزل بيعقوب الموتُ، وهو قول مكّي القيسيّ[3]، فـ ﴿**حَضَرَ**﴾ هاهنا بمعنى: نزل.

القول الثّاني: أنّ المعنى: قرب يعقوبُ من الموت، وهو قول السّمعانيّ[4]، والبغويّ[5]، فـ ﴿**حَضَرَ**﴾ - هاهنا - بمعنى: قرب.

القول الثّالث: أنّ المعنى: حضور مقدِّماتِ الموت وأسبابِه، وهو قول أبي القاسم الكرمانيّ[6]، وابن عطيّة[7]، وابن محمّد الجوزيّ[8]، والقرطبيّ[9]، والسّمين الحلبيّ[10]، وأبي السّعود[11]، وحجّتهم أنّ يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لو حضره الموتُ حقيقة لما أمكن أن

(١) الكتاب (٣٤/١).
(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٥٨/١)، وتفسير القرآن للسّمعاني (١٤٣/١)، وغرائب التّفسير (١٧٨/١)، والدّرّ المصون (١٢٩/٢)، والسّراج المنير (٩٥/١).
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٥٨/١).
(٤) ينظر: تفسير القرآن للسّمعاني (١٤٣/١).
(٥) معالم التّنزيل (١٧٠/١).
(٦) ينظر: غرائب التّفسير (١٧٨/١).
(٧) ينظر: المحرّر الوجيز (٢١٤/١).
(٨) ينظر: زاد المسير (٥٩٦/١).
(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/١).
(١٠) ينظر: الدّرّ المصون (١٢٩/٢).
(١١) ينظر: إرشاد العقل السّليم (١٦٤/١).

يقول شيئاً، وأنّ الحضور هنا استعارة؛ لأنّ الموتَ لا يصحّ عليه الحضور على الحقيقة. قال السّمين الحلبيُّ: «وحضورُ الموتِ كنايةٌ عن حضورِ أسبابه ومقدِّماته»(١).

القول الرّابع: أنّ المعنى: حين احتضر يعقوبُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو قول محمّد بن أحمد الشّربينيّ(٢)، فـ ﴿حَضَرَ﴾ - هاهنا - بمعنى: احتضر، واحتضرَ الرّجلُ، إذا حضرتْهُ الوفاةُ(٣).

القول الخامس: إذ ظهر لي - والله تعالى أعلم - أنّ المعنى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وتقدير الكلام: إذ حضر يعقوبَ ملكُ الموت، والدّليل على ما ذكرته قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وهذا شبيه بقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، على تقدير: أهل القرية، وهو وجه حسن، والله تعالى أعلم.

والّذي أراه أنّ القول الثّالث من هذه الأقوال أقرب إلى معنى الآية، وهو الرّاجح وعليه أكثر المفسِّرين.

وقرئ: «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ ٱلْمَوْتَ» برفع «يَعْقُوبُ»، ونصب «ٱلْمَوْتَ»(٤).

ذكر العُكْبَريّ أنّ المعنيين متقاربان، إذ قال: «والجمهور على نصب: ﴿يَعْقُوبَ﴾ ورفع: ﴿ٱلْمَوْتُ﴾، وقُرِئَ بالعكس، والمعنيان متقاربانِ»(٥).

ولم أجد عند العلماء توجيهاً لهذه القراءة، والّذي أراه أنّ المعنى على هذه القراءة أنّ ﴿حَضَرَ﴾ في هذه الآية بمعنى: شهِدَ، وهذا قريب ممّا قال به الثّعلبيُّ، إلّا أنّه جعل الشّهادة بمعنى الحضور، وليس العكس، إذ قال: «وعلى هذا القول تكون الشّهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدتُ فلان؛ أي: حضرتُ، قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾»(٦).

---

(١) ينظر: الدّرّ المصون (١٢٩/٢).
(٢) ينظر: السّراج المنير (٩٥/١).
(٣) ينظر: التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء (٢٠٧/٣).
(٤) ينظر: مختصر ابن خالويه (١٠)، والتّبيان في إعراب القرآن (١١٨/١)، وإعراب القراءات الشّواذ (٢٠٨/١)، والدّرّ المصون (١٢٩/٢).
(٥) التّبيان في إعراب القرآن (١١٨/١).
(٦) الكشف والبيان (١١٩/٤).

ولهذا القول وجه عند أهل اللّغة، إذ قال أبو الفتح الخوارزميُّ: «حَضَرَ المكانَ واحتضرَهُ: شَهِدَهُ»[1]، فالمعنى: شهِدَ يعقوبُ الموتَ، أي: شهد أسبابه ومقدّماته، أو شهد يعقوبُ ملكَ الموت - على ما ذهبت إليه - وهو قريب من معنى القراءة الأولى؛ لذا فالمعنيان قريبان، كما قال العُكْبَريُّ، والله تعالى أعلم.

رابعاً: قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]:

قرأَ الجماعة[2]: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ برفع لفظ الجلالة، والمعنى: أنّ اللهَ جَلَّجَلَالُهُ خاطب بكلامه موسى خطاباً، فهو الّذي كلّم موسى، وقال عامّة المفسّرين وأهل العلم: إنّ هذا الكلام كلام حقيقة لا كلام مجاز؛ لأنّه قد أكّده بالمصدر، والمجاز لا يؤكّد؛ لأنّه لا يقال: قال الحائط قولاً، فلمّا أكّده بالمصدر نفى عنه المجاز[3].

قال أبو البركات ابن الأنباري: «وفي ذكر هذا المصدر تأكيدٌ للفعل، ودليلٌ على أنّه كلّمه حقيقة لا مجازاً؛ لأنّ الفعل المجازيّ لا يؤكّد بالمصدر، ألا ترى أنّه لا يقال: قال برأسه قولاً، وإنّما يؤكّد الفعل الحقيقيّ فيقال: قال بلسانه قولاً»[4].

وذكر النّحّاس أن النّحويّين مجمعون على أنّ توكيد المصدر يدفع المجاز، ولا يصحّ المجاز مع التّوكيد[5]، إذ قال: «﴿تَكۡلِيمٗا﴾ مصدر مؤكِّد، وأجمع النّحويون على أنّك إذا أكّدت الفعلَ بالمصدر لم يكن مجازاً»[6].

(١) المغرب في ترتيب المعرب (١٢٠).
(٢) ينظر: مختصر ابن خالويه (٣٠)، والمحتسَب (٢٠٤/١)، والكشّاف (٥٩١/١)، والمحرّر الوجيز (١٦١/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٦٧/١١)، والبحر المحيط (١٣٩/٤)، والدّرّ المصون (١٦٠/٤)، ومنجد المقرئين (٢٣).
(٣) ينظر: جامع البيان (٤٠٣/٩)، وبحر العلوم (٣٠٨/١)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٤٠/٢)، والكشّاف (٥٩١/١)، وزاد المسير (٤٩٩/١)، ومفاتيح الغيب (٢٦٧/١١).
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (٢٧٧/١).
(٥) ينظر: الخصائص (٤٥٦/٢)، ونتائج الفكر (٣٥١)، وحاشية الخُضَريّ (٤١٩/١).
(٦) إعراب القرآن (٢٥١/١).

وبهذه القراءة يكون ربُّنا جَلَّ وَعَلَا هو المتكلِّم، وأنّه تعالى كلّم موسى بغير وحيٍ. قال الزّجّاج: «أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بتخصيص نَبِيّ مِمّن ذكر، فأعلم عَزَّوَجَلَّ أنّ موسى كُلِّمَ بغير وَحيٍ، وأكّد ذلك بقوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾، فهو كلام كما يعقلُ الكلام لا شكّ في ذلك»[1].

وقرأ إبراهيمُ النّخعيُّ[2]، ويحيى بن وثّاب[3]: «﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾»، بنصب لفظ الجلالة[4]، وهذه القراءة - وإن كانت ليست من القراءات المشهورة - إلّا أنّ لها تخريجاً واضحاً، على أن يكون لفظ الجلالة المتقدّم مفعولاً، و﴿مُوسَىٰ﴾ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فاعلاً مؤخّراً، فـ ﴿مُوسَىٰ﴾ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الّذي كلّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد وقف علماء التّفسير واللّغة من هذه القراءة على مذهبين[5]:

أحدهما: يرى أنّ هذه القراءة ضعيفة من جهة الاشتهار، ومخرّجة من عدّة تأويلات، ولعلّه يشير إلى ما ذكره العلماء في توجيه هذه القراءة، على أن يكون اسمُ الله مفعولاً، و﴿مُوسَىٰ﴾ فاعلاً، وهو قول ابن عطيّة، إذ قال: «﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهَ﴾ بالنّصب على أنّ ﴿مُوسَىٰ﴾ هو المكلِّم، وهي قراءة ضعيفة من جهة الاشتهار، لكنّها مخرّجة من عدّة تأويلات»[6]. فقوله: «على أنّ موسى هو المكلِّم»، يكون لفظ الجلالة المتقدّم مفعولاً، و﴿مُوسَىٰ﴾ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فاعلاً مؤخّراً، وهو قول أبي حيّان[7]، والسّمين الحلبيّ[8].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١٣٣/٢).

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النّخعيّ الكوفيّ، الإمام المشهور الصّالح الزّاهد العالم، توفّي في سنة (٩٦هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٢٩/١).

(٣) هو يحيى بن وثّاب الأسديّ بالولاء، الكوفيّ، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعيّ ثقة، من أكابر القرّاء، توفّي في سنة (١٠٣هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٣٨٠/٢).

(٤) ينظر: مختصر ابن خالويه (٣٠)، والمحتسَب (٢٠٤/١)، والكشّاف (٥٩١/١)، والمحرّر الوجيز (١٦١/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٦٧/١١)، والبحر المحيط (١٣٩/٤)، والدّرّ المصون (١٦٠/٤)، ومنجد المقرئين (٢٣).

(٥) ينظر: المحرّر الوجيز (١٦١/٢)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٤٢١/١)، والبحر المحيط (١٣٩/٤).

(٦) المحرّر الوجيز (١٦١/٢).

(٧) ينظر: البحر المحيط (١٣٩/٤).

(٨) ينظر: الدّرّ المصون (١٦٠/٤).

وذكر هؤلاء دليلاً يقوّي حجّة مَن قرأَ بهذه القراءة، ووجّه بهذا التّوجيه، وهو قوله تعالى على لسان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إذ ذكر ابن جنّي - بعد ذكر قراءة النّصب - قولَه: «يشهد لهذه القراءة قوله عَزَّوَجَلَّ حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ وغيره من الآي الّتي فيه كلامه لله تعالى»(١).

والمذهب الثّاني: يرى أنّ هذه القراءة ضعيفة في القياس؛ لأنّ الكلام على هذه القراءة بمعنى: خاطب، وهذا بعيد عن المعنى المقصود في هذه الآية، وهو قول أبي البقاء العُكْبَريّ، إذ ذكر أنّ عمْرَو بن عبيد(٢) - وهو معتزليّ - نصب اسم الله، على أن يكون مفعولاً و﴿مُوسَىٰ﴾ فاعلاً، إذ قال: «وهذا يجيء على مذهبه، وهو الاعتزالُ، وهو ضعيفٌ في القياس؛ لأنّه بمعنى: خاطب اللهَ، وهذا لا يختصّ بموسى»(٣).

وقد ذكر بدر الدّين الزركشيّ دليلاً على ردّ قراءة النّصب وترجيح قراءة الرّفع، وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إذ قال: «ويُحكى أنّه استدلّ بعضُ علماءِ السُّنّةِ على بعضِ المعتزلةِ في إثباتِ التّكليمِ حقيقةً بالآيةِ من جهةِ أنّ المجازَ لا يؤكّدُ؛ فسلَّمَ المعتزليُّ لهُ هذه القاعدةَ، وأرادَ دفعَ الاستدلالِ من جهةٍ أُخرى؛ فادّعى أنّ اللّفظ إنّما هو «وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ»، بنصب لفظ الجلالةِ، وجَعَلَ ﴿مُوسَىٰ﴾ فاعلاً بِـ ﴿كَلَّمَ﴾، وأنكرَ القراءةَ المشهورةَ وكابرَ؛ فقال السّنّيُّ: فماذا تصنعُ بقولهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ فانقطعَ المعتزِليُّ عند ذلكَ»(٤).

وقراءة الرفع هي الحق والصواب ويؤيّد ذلك تسمية موسى: كليم الله، وما جرى على ألسنة الخلق من القول بأنّ اللهَ تعالى كلّم موسى، فيَخْرُج هذا - والله أعلم - مخرج التّخصيص له؛ إذ ما من رسول إلّا وقد كان له خصوصيّة، والكلام خصوصيّة لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذ كلّمه

(١) المحتَسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات (٢٠٤/١).
(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب التّميميّ المعتزليّ، المتوفّى في سنة (١٤٤هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٣٨٤/١).
(٣) إعراب القراءات الشّواذّ (٤٢١/١).
(٤) البرهان في علوم القرآن (٣٩٣/٢).

من غير أن كان ثمّة سفير ورسول، وكان لسائر الرّسل وحيٌ يوحى إليهم[١]، فهذا دليل على ما ذهبت إليه، فضلاً عن ذلك أنّ قراءة النّصب ضعيفة من جهة الاشتهار، وفي القياس كذلك، والله تعالى أعلم.

خامساً: قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قرأ الجماعة[٢]: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، هذا هو المشهورُ على جعلِ العهدِ هو الفاعلُ، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعولاً به[٣]؛ لأنَّ العهدَ[٤] هو الّذي لا ينالُهُم[٥].

قال أبو اللّيث السّمرقنديُّ: «﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني الكافرين، يعني لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للنّاس، ويقال: لا تصيب رحمتي الكافرين»[٦]، وهنا فسّر ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكافرين، وقال الزّمخشريُّ: «أي: من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنّما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظّلم»[٧].

وقد ذكر أبو جعفر النّحّاس قولَ محمّد بن يزيد المبرّد من أنّ المعنى يوجب نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، إذ قال: «وحكي عن محمّد بن يزيد أنّه قال: المعنى يوجب نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال الله عَزَّوَجَلَّ لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فعهد إليه بهذا، فسأل إبراهيمُ فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا أجعل إماماً ظالماً»[٨].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السّنّة (٣/٤٢٠).
(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (١/٧٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/١٥٤)، وجامع البيان (٢/٢٣)، والكشف والبيان (١/٢٦٩)، والإيضاح في القراءات (١/٧٤)، والكشّاف (١/٢١١).
(٣) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (١/١١٢).
(٤) اختلف أهل التّأويل في العهد الّذي حرّم اللهُ جَلَّجَلَالُهُ الظّالمين أن ينالوه، للوقوف عليه. ينظر: جامع البيان (٢/٢٠).
(٥) ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/١٥٤)، والحجّة للقرّاء السّبعة (٢/٤٣).
(٦) بحر العلوم (١/٩١).
(٧) الكشّاف (١/٢١١).
(٨) إعراب القرآن (١/٧٦).

وقرأَ ابن مسعود[١]، وأبو رجاء[٢]، وطلحة بن مصرِّف[٣] وقتادة[٤]، والأعمش[٥]: «**لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمُونَ**»، برفع «**ٱلظَّٰلِمُونَ**»[٦].

وقد وقف علماءُ التّفسير واللّغة من هذه القراءة على ثلاثة مذاهب[٧]:

المذهب الأوّل: يرى أنّ الآية: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ بنصب ﴿**ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾، معناها: لَا ينالُ عهدَ اللهِ فِي الآخرةِ الظَّالمونَ، فأمّا في الدّنيا فقد نالهُ الظَّالمُ، فأَمِن به، وأكلَ، وأبصرَ، وعاشَ، وهذا قول أبي بكر عبد الرّزّاق الصّنعانيّ[٨]، فقوله: لا ينال عهدَ الله في الآخرة الظّالمون، - بالرّفع - يدلّ على أنّ قراءة الرّفع هي قراءة تفسير، إذ يفهم منه أنّ أصل القراءة على النّصب، والتّفسير على الرّفع، والله تعالى أعلم.

المذهب الثّاني: يرى أنّ القراءتين بمعنًى واحد من غير ترجيح أو تفضيل، وهو مذهب الفرّاء، إذ قال: «والمعنى - والله أعلم - واحد؛ لأنّ ما نالك فقد نلتَه»[٩].

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن الحارث بن غافل بن حبيب، أحد السّابقين والبدريّين والعلماء الكبار من الصّحابة، توفّي في سنة (٣٢هـ). تنظر ترجمته في: معرفة القرّاء الكبار (١٤/١).

(٢) هو عمران بن تيم، ويقال: ابن ملحان، أبو رجاء العطارديّ البصريّ التّابعيّ، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وكان مخضرماً، أسلم في حياة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يره، توفّي في سنة (١٠٥هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٦٠٤/١).

(٣) هو طلحة بن مصرِّف بن عمرو بن كعب، أبو محمّد، ويقال: أبو عبد الله الهمداني اليامّيّ الكوفيّ، تابعيّ كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، واجتمع قرّاء الكوفة في منزل الحكم بن عيينة، فأجمعوا على أنّه أقرأ أهل الكوفة، وكان يسمّى: سيد القرّاء، وهو من رجال الحديث الثّقات، ومن أهل الورع والنّسك، توفّي في سنة (١١٢هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٣٤٣/١).

(٤) هو قتادة بن دعامة، أبو الخطّاب السّدوسيّ البصريّ الأعمى المفسّر، أحد الأئمّة في حروف القرآن، توفّي سنة (١١٨هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٢٥/٢).

(٥) هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمّد الأسديّ الكاهليّ الكوفيّ الإمام الجليل، تابعيّ مشهور، أصله من بلاد الرّيّ، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفّي في سنة (١٤٨هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٣١٥/١).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٧٦/١)، ومعاني القرآن للأخفش (١٥٤/١)، وجامع البيان (٢٣/٢)، والكشف والبيان (٢٦٩/١)، والإيضاح في القراءات (٧٤/١)، والكشّاف (٢١١/١).

(٧) ينظر: تفسير عبد الرّزّاق (٢٩٠/١)، ومعاني القرآن للفرّاء (٧٦/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٠٥/١).

(٨) تفسير عبد الرّزّاق (٢٩٠/١).

(٩) معاني القرآن (٧٦/١).

وقال في موضع آخر: «وفي قراءة عبد الله: «لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمُونَ»، وقد فسّر هذا بأنّ ما نالك فقد نلته، كما تقول: نلتُ خيرَك، ونالني خيرُك»[١]، وتبعه الأخفش[٢]، وابن جرير الطّبريّ[٣]، والبيضاويُّ[٤]، وأبو حيّان[٥].

ويرى أبو البقاء العُكْبَريُّ أنّ هناك تقارباً بين القراءتين في المعنى، إذ قال - بعد ذكر القراءة الأولى -: «هذا هو المشهورُ على جَعْلِ العهدِ هو الفاعلُ، ويُقرأُ «ٱلظَّٰلِمُونَ» على العكسِ، والمعنيان متقاربانِ؛ لأنّ ما نلتهُ فقد نالكَ»[٦]، فقوله: «والمعنيان متقاربان»، لا يوحي أنّ القراءتين بمعنًى واحد، إذ التّقارب لا يعني المثل.

وذكر السّمين الحلبيُّ أنّ القراءتين ظاهرتان، إذ الفعل يصحّ نسبته إلى كلٍّ منهما، إذ قال: «والقراءتان ظاهرتان، إذ الفعلُ يَصِحُّ نسبتهُ إلى كلٍّ منهما، فإنّ مَن نالَكَ فقد نِلْتَه، والنَّيلُ: الإدراك وهو العطاءُ أيضاً، نال ينال نَيلاً فهو نائل»[٧]، والله تعالى أعلم.

المذهب الثّالث: يرى أنّ القراءتين بمعنًى واحد، ولكن بترجيحٍ وتفضيل بين القراءتين، وهذا المذهب متمثِّلٌ بأبي إسحاق الزّجّاج، إذ قال: «وقد قرئت: «لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمُونَ»، والمعنى - في الرّفع والنّصب - واحد؛ لأنّ النَّيلَ مشتمل على العهد، وعلى الظّالمين، إلّا أنّه منفيّ عنّهم، والقراءَة الجيّدة هي على نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنّ المصحف هكذا فيه، وتلك القراءَة جيدة باللّغة إلّا أنّي لا أقرأ بها، ولا ينبغي أن يُقْرأ بها؛ لأنّها خلاف المصحف، ولأنّ المعنى: أنّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كأنّه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتي، واجعل هذا العهد ينال ذريتي، قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فهو على هذا أقوى أيضاً»[٨].

---

(١) معاني القرآن (١/٢٥٠).
(٢) ينظر: معاني القرآن (١/١٥٤).
(٣) ينظر: جامع البيان (٢/٢٤).
(٤) ينظر: أنوار التّنزيل (١/١٠٤).
(٥) ينظر: البحر المحيط (١/٦٠٤).
(٦) التّبيان في إعراب القرآن (١/١١٢).
(٧) الدّرّ المصون (٢/١٠٣).
(٨) معاني القرآن وإعرابه (١/٢٠٥).

والّذي ذهب إليه أبو إسحاق الزّجّاج راجح عندي، إذ القراءة وإن كانت جيّدة إلّا أنّ المعنى على قراءة النّصب أقوى، وهذا ما عليه أكثر علماء التّفسير، وهو المشهور[١]، والله تعالى أعلم.

سادساً: قول الله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]:

قرأ الجمهور[٢]: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، بنصب ﴿وُجُوهَهُمُ﴾، على أنّها مفعول به مقدّم، ورفع ﴿ٱلنَّارُ﴾، على أنّها فاعل مؤخّر، على نحو قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١]، فهي حقيقة أي: حقيقة الغشيان[٣]، والغاية من هذا التّقديم والتّأخير؛ لمناسبته لما بعده[٤]، أو قدّمه تعجيلاً لإفهام الإهانة[٥].

واختلف المفسّرون في معنى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، فقال الطّبريُّ: «قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، يقول: وتلفَحُ وجوههم النّار فتحرقها»[٦]، وتبعه مكّي القيسيّ[٧].

وقال أبو اللّيث السّمرقنديّ: «يعني: تعلو وجوههم النّارُ، ولا يمتنعون منها»[٨]، وتبعه الواحديّ[٩]، والسّمعاني[١٠]، والبغويّ[١١]، وابن الجوزيّ[١٢]، والنّسَفِيّ[١٣].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٧/١)، ومعاني القرآن للأخفش (١٥٤/١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٣/١)، والكشف والبيان (٢٦٩/١)، ومفاتيح الغيب (٤٠/٤).

(٢) ينظر: المحرّر الوجيز (٣٤٨/٣)، والبحر المحيط (٤٥٩/٦)، والدّرّ المصون (١٣٣/٧)، واللّباب في علوم الكتاب (٤١١٩/١١).

(٣) ينظر: المحرّر الوجيز (٣٤٨/٣)، والبحر المحيط (٤٥٩/٦)، والدّرّ المصون (١٣٣/٧).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢٣٤/٣).

(٥) ينظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور (١٩٧/٤).

(٦) جامع البيان (٥٦/١٧).

(٧) الهداية إلى بلوغ النّهاية (٣٨٥١/٥).

(٨) بحر العلوم (٢٤٩/٢).

(٩) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣٧/٣).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن للسّمعانيّ (١٢٧/٣).

(١١) ينظر: معالم التّنزيل (٤٩/٣).

(١٢) ينظر: زاد المسير (٥٢/٢).

(١٣) ينظر: مدارك التّنزيل (١٨١/٢).

وقال القرطبيّ: «أي: تضرب وُجوهَهُمُ النَّارُ، فتغشيها»[1].

وعلى هذه الأقوال، فإنّ معنى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، «أي: تعلوها وتحيط بها النّارُ الّتي تمسّ جسدَهم المُسَرْبلَ بالقَطِران، وتخصيصُ الوجوه بالحكم المذكورِ مع عمومه لسائر أعضائِهم لكونها أعزَّ الأعضاء الظّاهرةِ وأشرفَها، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]، ولكونها مجمعَ المشاعرِ والحواسّ الّتي خُلقت لإدراك الحقّ، وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبيره، كما أنّ الفؤادَ أشرفُ الأعضاء الباطنةِ، ومحلُّ المعرفة، وقد ملؤوها بالجهالات؛ لذلك قيل: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]، أو لخلوّها عن القطِران المغني عن ذكر غشيانِ النّار لها، ولعلّ تخليتَها عنه؛ ليتعارفوا عند انكشافِ اللّهب أحياناً، ويتضاعف عذابُهم بالخزي على رؤوس الأشهاد»[2].

وقرأ ابن مسعود[3]: «وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ ٱلنَّارَ»، برفع «وُجُوهُهُمُ»[4]، على أنّها فاعل، ونصب «ٱلنَّارَ» على أنّها مفعولٌ به، على سبيلِ المجاز، جعلَ ورودَ الوجهِ على النَّارِ غشياناً[5]، وهو قول ابن عطية، إذ قال: «وقرأ ابن مسعود: «وُجُوهُهُمُ» بالرّفع، «ٱلنَّارَ» بالنّصب، على نحو قول الشّاعر[6]:

**يُغْشَـونَ حـتّى مَـا تهـرُّ كلابُهُـم		لا يَسْـأَلُون عَـن السّـوادِ المقبـلِ**

فهي بتجوّز في الغشيان، كأنّ ورودَ الوجوه على النّار غشيانٌ»[7]، وتبعه أبو حيّان الأندلسيّ[8]، والسّمين الحلبيّ[9]، وابن عادل الحنبليّ[10].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٨٥).

(٢) إرشاد العقل السّليم (٥/٦١).

(٣) تقدّمت ترجمته.

(٤) نسبها ابن عطيّة إلى ابن مسعود، ولم ينسبها غيره إلى قارئ. ينظر: المحرّر الوجيز (٣/٣٤٨)، والبحر المحيط (٦/٤٥٩)، والدّرّ المصون (٧/١٣٣)، واللّباب في علوم الكتاب (١١/٤١٩).

(٥) ينظر: المحرّر الوجيز (٣/٣٤٨)، والبحر المحيط (٦/٤٥٩)، والدّرّ المصون (٧/١٣٣).

(٦) هو حسّان بن ثابت، والبيت في ديوانه (١٦٥).

(٧) المحرّر الوجيز (٣/٣٤٨).

(٨) ينظر: البحر المحيط (٦/٤٥٩).

(٩) ينظر: الدّرّ المصون (٧/١٣٣).

(١٠) ينظر: اللّباب في علوم الكتاب (١١/٤١٩).

والّذي أراه أنّ هذا التّوجيه فيه تكلّف، ولا سيّما أنّ هذه القراءة قراءة شاذّة، فالأَوْلى أن نستأنس بأقوال العلماء وتوجيهاتهم لهذه القراءة من غير أن نجعلها مقيسة على غيرها من القراءات، والله تعالى أعلم.

سابعاً: قول الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧]:

قرأَ الجماعة[١]: **﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾**، بنصب لفظ الجلالة، ورفع **﴿لُحُومُهَا﴾**، و**﴿دِمَآؤُهَا﴾**، وللعلماء في بيان معنى الآية على هذه القراءة أربعة أقوال[٢]:

القول الأوّل: أنّ معنى الآية: لن يصلَ إلى اللهِ لحومُ بُدْنِكم ولا دماؤها، وهو قول ابن جرير الطّبريّ[٣]، وتبعه أبو إسحاق الزّجّاج[٤]، وأبو اللّيث السّمرقنديّ[٥]، وأبو إسحاق الثّعلبيّ[٦]، ومكّي القيسيّ[٧]، وأبو الحسن الواحديّ[٨]، وأبو المظفّر السّمعانيّ[٩]، والفخر الرّازيّ[١٠]، وابن جزّيّ[١١].

وعلى هذا يكون المعنى: أنّ الّذي يصل إليه تعالى ويرتفع إليه هو تقوى الله دون نفس اللّحم والدّم، ومعلوم أنّ شيئاً من الأشياء لا يوصف بأنّه يناله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمراد: وصول ذلك إلى حيث يكتب؛ ويدلّ عليه قوله: **﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾** [فاطر: ١٠].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزّجّاج (٤٢٩/٣)، ومعاني القراءات (٤٣/٢)، والحجّة للقرّاء السّبعة (٤٣/٢)، وحجّة القراءات (٢٨٢).
(٢) ينظر: جامع البيان (٦٤/١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٢٩/٣)، والكشّاف (١٦٠/٣)، والبحر المحيط (٥١٠/٧).
(٣) ينظر: جامع البيان (٦٤١/١٨).
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٢٩/٣).
(٥) ينظر: بحر العلوم (٤٦١/٢).
(٦) ينظر: الكشف والبيان (٢٤/٧).
(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٨٩٤/٧).
(٨) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٣٤).
(٩) ينظر: تفسير القرآن للسّمعاني (٤٤١/٣).
(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٢٧/٢٣).
(١١) ينظر: التّسهيل لعوم التّنزيل (٤٠/٢).

وبهذا المعنى قال القرطبيّ: «والنّيل لا يتعلّق بالبارئ تعالى، ولكنّه عبّر عنه تعبيراً مجازياً عن القبول، المعنى: لن يصل إليه»[١].

القول الثّاني: أن يكون المعنى: لن يصيب رضا الله اللّحومُ المتصدّق بها، ولا الدّماء المهراقة بالنّحر، وهو قول الزّمخشريّ[٢]، وتبعه البيضاويُّ[٣]، وأبو البركات النّسفيّ[٤] - في أحد قوليه - وأبو حيّان الأندلسيّ[٥]، وعلى هذا يكون المعنى: لن يُصيبَ رضا اللهِ اللُّحومُ المتصدَّقُ بها ولا الدّماءُ المهراقةُ بالنّحرِ، والمرادُ أَصحابُ اللُّحوم والدّماء، والمعنى لن يُرضِيَ المضحّونَ والمقرّبونَ ربَّهُم إلّا بمراعاة النّيّةِ والإخلاصِ والاحتياطِ بشرُوطِ التَّقوى في حلِّ ما قرَّبَ به وغيرِ ذلكَ من المحافظاتِ الشَّرعيّة وأوامر الورَعِ، فإذا لم يُرَاعُوا ذلكَ لم تغنِ عنهم التَّضحيةُ والتَّقريبُ، وإن كَثُرَ ذلك منهم[٦].

القول الثّالث: أن يكون المعنى: لن يُرفع إلى الله، وهو قول مقاتل بن سليمان[٧]، وأبي منصور الماتريديّ[٨] - في أحد قوليه - وابن عطيّة[٩]، وعبد الرّحمن الثّعالبيّ[١٠]. وعلى هذا يكون المعنى: لن يُرفع إلى الله إلّا الأعمال الصّالحة الزّاكية، وما كان بالتّقوى، وأمّا ما كان غيرها فإنّه لا يُرفع ولا يصعد بها[١١]. وعلى هذه الأقوال الثّلاثة، يكون لفظ الجلالة مفعولاً به مقدّماً.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٥/١٢).
(٢) ينظر: الكشّاف (١٦٠/٣).
(٣) ينظر: أنوار التّنزيل (٧٢/٤).
(٤) ينظر: مدارك التّنزيل (٤٤٢/٢).
(٥) ينظر: البحر المحيط (٥١٠/٧).
(٦) ينظر: الكشّاف (١٦٠/٣)، والبحر المحيط (٥١٠/٧).
(٧) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٨/٣).
(٨) ينظر: تأويلات أهل السنّة (٤٢١/٧).
(٩) ينظر: المحرّر الوجيز (١٢٢/٤).
(١٠) ينظر: الجواهر الحسان (١٢٥/٤).
(١١) تأويلات أهل السنّة (٤٢١/٧).

القول الرّابع: أن يكون المعنى: لن يقبل اللهُ اللّحومَ ولا الدّماءَ إذا كانت من غير تقوى الله، وهو قول أبي منصور الماتريديّ - في أحد قوليه - وتبعه أبو الحسن الماورديّ - في أحد قوليه - وأبو الحسن الواحديّ، وأبو القاسم النّيسابوريّ، وعبد الرحمن الجوزيّ، وأبو البركات النّسفيّ - في أحد قوليه - وعلى هذا يكون المعنى: أنّ اللهَ لا يقبل اللّحومَ والدِّماءَ إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنّما يتقبّل ما يتّقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نيَّةٍ صحيحة(١).

وهذا القول فيه إشكال من حيث التّوجيه، وهو تضمين الفعل ﴿يَنَالَ﴾ معنى (يقبل)، فيكون لفظ الجلالة فاعلاً؛ أي: هو الّذي يقبل، وهذا يتناسب مع قراءة مَن رفع لفظ الجلالة.

وقرأ زيد بن علي(٢): «**لَن يَنَالَ ٱللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآءَهَا**»، برفع لفظ الجلالة، ونصب اللّحوم والدّماء(٣). وتوجيهها على أن يضمّن الفعل ﴿يَنَالَ﴾ معنى: (يعتدّ)، ذكره أبو البقاء العُكْبَريّ، إذ قال: «يقرأ بالرّفع، ونصب اللّحوم والدّماء على أنّه فاعل، أي: لن يعتدّ اللهُ بهما»(٤).

وهذا يتناسب مع ما ذكره العلماء في القول الرّابع من الأقوال الّتي قيلت في توجيه قراءة نصب لفظ الجلالة، إذ ضمّن الفعل ﴿يَنَالَ﴾ معنى: يقبل.

فالّذي أراه أنّ أبا البقاء العُكْبَريَّ نظر إلى المعنى من حيث المجاز لا من حيث الحقيقة، فالنّيل لا يتعلّق بالله تعالى، ولكنّه عبّر عنه تعبيراً مجازياً عن القبول، والمعنى: لن يصل إليه، كما بيّن ذلك القرطبيّ(٥)، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٢٧٢)، وزاد المسير (٣/٢٣٩).

(٢) هو زيد بن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران بن أبي بلال، أبو القاسم العجليّ الكوفيّ، شيخ العراق إمام حاذق ثقة، توفّي في سنة (٣٥٨هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (١/٢٩٨).

(٣) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٢/١٤٣)، والبحر المحيط (٧/٥١٠)، والدّرّ المصون (٨/٢٨١)، واللّباب في علوم الكتاب (١٤/٩٧).

(٤) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٢/١٤٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٦٥).

ثامناً: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]:

قرأ الجماعة[١]: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾، برفع ﴿إِبۡلِيسُ﴾ ونصب ﴿ظَنَّهُۥ﴾، فـ ﴿إِبۡلِيسُ﴾ فاعل، و﴿ظَنَّهُۥ﴾، مفعول به للفعل ﴿صَدَّقَ﴾، وهو قول أبي زكريّا الفرّاء، إذ قال: «نصبت (الظنّ) بوقوع التّصديق عليه، ومعناه: أنّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، قال الله: صدّق عليهم ظنَّه؛ لأنه إنّما قاله بظنّ لا بعلم»[٢]؛ فحقق ظنَّه فيهم[٣]، أو وجده صادقاً[٤]، وتبعه أبو إسحاق الزّجّاج[٥]، وأبو جعفر النّحّاس[٦]، وأبو علي الفارسيّ[٧]، وابن جنّيّ[٨]، ومكّي القيسيّ[٩]، وأبو القاسم الكرمانيّ[١٠]، والزّمخشريّ[١١]، وابن عطيّة[١٢]، والقرطبيّ[١٣]، وأبو البقاء العُكْبَريّ[١٤]، وأبو حيّان الأندلسّي[١٥].

---

(١) ينظر: الكشّاف (٥٨٨/٣)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٣٣٠/٢)، وأنوار التّنزيل (٢٤٦/٤)، وإرشاد العقل السّليم (١٣٠/٧).

(٢) معاني القرآن (٣٦٠/٢).

(٣) ينظر: غرائب التّفسير (٩٣٤/٢).

(٤) ينظر: الكشّاف (٥٨٨/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٥٢/٤).

(٦) ينظر: إعراب القرآن (٣٤٣/٣).

(٧) ينظر: الحجّة للقرّاء السّبعة (٢٠/٦).

(٨) ينظر: المحتسَب في تبيين وجوه القراءات (١٩١/٢).

(٩) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٥٨٧/٢)، والهداية إلى بلوغ النّهاية (٥٩١٨/٩).

(١٠) ينظر: غرائب التّفسير (٩٣٤/٢).

(١١) ينظر: الكشّاف (٥٨٨/٣).

(١٢) ينظر: المحرّر الوجيز (٤١٧/٤).

(١٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢/١٤).

(١٤) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (١٠٦٧/٢).

(١٥) ينظر: البحر المحيط (٥٣٩/٨).

وقُرئ[1]: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ»، بتشديد الدّال في ﴿صَدَّقَ﴾[2]، ونصب «إِبْلِيسَ»، ورفع «ظَنُّهُ»، فـ «إِبْلِيسَ» مفعول به مقدّمٌ، و«ظَنُّهُ» فاعل مؤخّر، وهو قول الزّمخشريّ، إذ قال: «قرئ... وبنصب «إِبْلِيسَ» ورفع الظنّ، فمن شدّد فعلى: وجدَه ظنُّه صادقاً». وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ[3]، والبيضاويّ[4]، وأبو السّعود[5].

والّذي أراه أنّ هذه القراءة فيها من التّأويلات الغريبة والبعيدة ما لا تتناسب مع معنى الآية، فضلاً عن شذوذها وغرابتها، والله تعالى أعلم.

تاسعاً: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]:

قرأ الجمهور[6]: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، بنصب لفظ الجلالة، مفعولاً به مقدّماً، ورفع ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاعلاً مؤخّراً، وفي تقديمه غرض وهو الإخبار بأنَّ الّذين يخشون اللهَ هم العلماء خاصّة دون سواهم، فقد قصد بتقديم المفعول حصر الفاعليّة، ولو أخّر لانعكس الأمر، أي لو قيل: «إنّما يخشى العلماءُ اللهَ»، لفُهم أنّ المخشيَّ هو الله دون غيره، ولا تكون الخشية مخصوصة بالعلماء، مقصورة عليهم، بل يشارك فيها غير العلماء، فهم يخشون الله وقد يخشون سواه، خلافاً للعلماء فهم لا يخشون سواه، وفي هذا المعنى يقول السّهيليُّ: «ألا ترى أنّ معنى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، ليس كقولك: إنّما يخشى العلماءُ اللهَ؛ لأنّك إذا أخّرت نفيت الخشية من غير العلماء، وإذا قدّمت الفاعل نفيت الخشية أن تتعلّق بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا واضح لا خفاء به عند التّأمّل»[7].

---

(١) ينظر: الكشّاف (٥٨٨/٣)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٣٣٠/٢)، وأنوار التّنزيل (٢٤٦/٤)، وإرشاد العقل السّليم (١٣٠/٧).

(٢) وردت قراءة بتخفيف الدّال في ﴿صَدَّقَ﴾، ونصب ﴿إِبْلِيسَ﴾، ورفع ﴿ظَنُّهُ﴾، ولا علاقة للبحث بها؛ لأنّ الفعل طرأ عليه تغيير صرفيّ.

(٣) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٣٣٠/٢).

(٤) ينظر: أنوار التّنزيل (٢٤٦/٤).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السّليم (٢٤٦/٤).

(٦) ينظر: الكشف والبيان (١٠٥/٨)، والكامل في القراءات (٦٢٤)، والتّكت في القرآن (٤٠٧)، والبحر المحيط (٣١/٩).

(٧) نتائج الفكر (١٣٥).

وقال الحسن بن محمّد النّيسابوري: «وفائدة تقديم المفعول أن يعلم أنّ الّذين يخشون اللهَ من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، ولو أخّر المفعول كان معنًى صحيحاً وهو أنّهم لا يخشون أحداً إلّا اللهَ، إلّا أنّ ذلك غير مراد هاهنا»[1].

فالخشية هنا: الخوف، فيكون المعنى: إنّ العلماءَ يعلمون خلق الله تعالى ويتفكّرون في خلقه، ويعلمون ثوابه وعقابه فيخشونه، ويعلمون بالطّاعة طمعاً لثوابه، ويمتنعون عن المعاصي خشية عقابه[2]، فمن فقد العلم بالله فلا خشية له من الله[3].

قال أبو إسحاق الزّجّاج: «من كان عالماً باللهِ اشتدّت خشيتُه له»[4].

وقال أبو منصور الماتريديّ: «وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، هذا يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنّ الّذي يحقّ على العالم بالله أن يكون هو يخشاه؛ لما يعلم من سلطانه وهيبته وقدرته وجلاله.

والثّاني: أنّ العالم بالبعث والمؤمن به هو يخشى مخالفة الله في أوامره ونواهيه؛ لما يعلم من نقمته وعذابه مَن خالفه وعصى أمره، فأمّا من لم يعلم بالبعث ولم يؤمن به فلا يخافه... أو أن يكون قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ عباده من جملة المؤمنين، يقول - والله أعلم -: إنّما يخشى اللهَ من عباده المؤمنون به، المصدّقون عذابه ونقمته، فأمّا من لم يؤمن به فلا يخافه»[5].

---

(١) غرائب القرآن (٥/٥١٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٠/٤٦٢)، وبحر العلوم (٣/١٠٦)، والهداية إلى بلوغ النّهاية (٩/٥٩٧٢).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات (٣/٢٠٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٦٩).

(٥) تأويلات أهل السّنّة (٨/٤٨٥).

وقرئ[1]: «**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا**»، برفع لفظ الجلالة، كونه فاعلاً، ونصب «**ٱلْعُلَمَٰٓؤُا**» كونه مفعولاً به، نسبها أبو إسحاق الثّعلبيّ[2] إلى أبي حنيفة، وكذلك أبو القاسم الهذليّ[3]، ونسبها أبو الحسن[4] إلى طلحة بن مصرِّف[5]، ونسبها الزّمخشريّ[6] إلى عمر بن عبد العزيز، ونسبها أبو البركات النّسفيّ[7] إلى أبي حنيفة، وعمر بن عبد العزيز، وابن سيرين، وذكر السّمين الحلبي[8] فيما نقله الزّمخشريُّ أنّها قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفةَ، وذكر فيما نقله الهذليّ أنّها قراءة أبي حَيوةَ[9]، ومن العلماء مَن لم ينسبها إلى أحد[10].

واختلف العلماء في هذه القراءة على ثلاثة أقسام[11]:

القسم الأوّل: وهم الّذين ردّوا هذه القراءة، ومنهم أبو حيّان الأندلسيّ، إذ قال: «ولعلّ ذلك لا يصحُّ عنهما، وقد رأينا كتباً في الشّواذّ، ولم يذكروا هذه القراءةَ»[12].

وذكر ابن الجزريّ، أنّ القراءة منسوبة إلى الإمام أبي حنيفة وهو منها بريء، وأنّ إسنادها ضعيف، إذ قال: «ومثال القسم الثّالث: ممّا نقله غير ثقة كثير ممَّا في كتب الشّواذّ ممّا غالِبُ إسناده ضعيفٌ... كالقراءة المنسوبة إلى الإمام أَبِي حنيفةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الّتي جمعها أَبو الفضلِ محمّد بن جعفر الخزاعيُّ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذليُّ وغيره، فإنّها

(١) ينظر: تأويلات أهل السّنّة (٤٨٥/٨)، والكشف والبيان (١٠٥/٨)، والكامل في القراءات (٦٢٤)، والنّكت في القرآن (٤٠٧)، والكشّاف (٦١١/٣).
(٢) ينظر: الكشف والبيان (١٠٥/٨).
(٣) ينظر: الكامل في القراءات (٦٢٤).
(٤) ينظر: النّكت في القرآن (٤٠٧).
(٥) تقدّمت ترجمته.
(٦) ينظر: الكشّاف (٦١١/٣).
(٧) ينظر: مدارك التّنزيل (٨٧/٣).
(٨) ينظر: الدّرّ المصون (٢٣١/٩).
(٩) تقدّمت ترجمته.
(١٠) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٢٤٩/٢)، والتّبيان في إعراب القرآن (١٠٧٥/٢)، وأنوار التّنزيل (٢٤٦/٤)، وحاشية الخُضَريّ (٢٤٢/١).
(١١) ينظر: الكشف والبيان (١٠٥/٨)، والبحر المحيط (٣١/٩)، والنّشر في القراءات العشر (٦١/١).
(١٢) البحر المحيط (٣١/٩).

لا أصل لها،... وقد رويتُ الكتابَ المذكورَ ومنه: «**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا**»، برفعِ الهاءِ ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسِّرين ونسبها إليه، وتكلَّف توجيهها، وإنّ أبا حنيفة لبريءٌ منها»(١).

ومنهم من خطّأ القراءة وجعلها غير صحيحة، وهو أبو إسحاق الثّعلبيّ، إذ قال: «والقراءة الصّحيحة ما عليه العامّة»(٢).

القسم الثّاني: وهم الّذين جعلوا هذه القراءة مرجوحة، والقراءة الأولى هي الرّاجحة، ومنهم أبو القاسم الهذليّ، إذ قال: «نَصْب أبي حنيفة، الباقون بخلافه، وهو الاختيار؛ لأنّ الخشية من العبد تصحّ»(٣)، ومنهم أبو البقاء العُكْبَريّ، إذ قال: «و﴿**ٱلْعُلَمَٰٓؤُا**﴾ بالرّفع، وهو الوجهُ»(٤).

القسم الثّالث: وهم الّذين ذكروا القراءة بدون ردٍّ أو ترجيح، بل اكتفوا بذكر توجيهات هذه القراءة، ومنهم الزّمخشري، الّذي ذكر أنّ الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنّما يجلّهم ويعظّمهم، كما يجلّ المهيب المخشيّ من الرّجال بين النّاس، ومن بين جميع عباده(٥)، وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ(٦)، والقرطبيّ(٧)، والبيضاويّ(٨)، وأبو البركات النّسفيّ(٩)، والسّمين الحلبيّ(١٠)، والحسن بن محمّد النّيسابوريّ(١١)، وعلى هذا المعنى يكون تقدير الكلام: إنّما يُعظّم اللهُ مِن عباده العلماءَ.

(١) النّشر في القراءات العشر (١٦/١).
(٢) الكشف والبيان (١٠٥/٨).
(٣) الكامل في القراءات (٦٢٤).
(٤) التّبيان في إعراب القرآن (١٠٧٥/٢).
(٥) ينظر: الكشّاف (٦١١/٣).
(٦) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٢٤٩/٢)، والتّبيان في إعراب القرآن (١٠٧٥/٢).
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٤٥/١٤).
(٨) ينظر: أنوار التّنزيل (٢٥٨/٤).
(٩) ينظر: مدارك التّنزيل (٨٧/٣).
(١٠) ينظر: الدّرّ المصون (٢٣١/٩).
(١١) ينظر: غرائب القرآن (٥١٥/٥).

وذكر أبو إسحاق الثّعلبيّ، أنّ ﴿يَخْشَى﴾ في هذه القراءة على معنى: يعلمُ اللهُ، أو يختار[1].

وذكر أبو الحسن المُجَاشِعيّ، أنّ ﴿يَخْشَى﴾ - هاهنا - بمعنى: يراعي، والتّقدير: إنّما يراعي اللهُ مِن عباده العلماءَ؛ لأنّهم هم المخاطبون الّذين يفهمون ما يخاطبهم به، ومَن سواهم تبع لهم[2].

والّذي أراه أنّ ما ذهب إليه أبو حيّان الأندلسي، ومن تبعه من العلماء في ردّ هذه القراءة - المختلف في نسبتها - هو الرّاجح عندي؛ لما ذكروه من أسباب، فضلاً عن ذلك أنّ قراءة نصب لفظ الجلالة، ورفع ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بيّنت لنا فائدة بلاغيّة في علّة التّقديم والتّأخير، فضلاً عن ذلك، فإنّ أكثر أهل العلم يذهب إلى أنّ قراءة رفع لفظ الجلالة ونصب العلماء لحنٌ[3]، وأنّ ما ذكره العلماء من أقوال في توجيه هذه القراءة فيه تكلّفٌ ظاهر، والله تعالى أعلم.

عاشراً: قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]:

قرأ الجماعة[4]: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، بنصب ﴿ضَآلًّا﴾ مفعولاً به ثانياً، والكاف في ﴿وَجَدَكَ﴾ ضمير متصل مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول به أوّل.

قال مكّي القيسيّ: «الكاف و﴿يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦] مفعولان لـ (يجد)، ومثله[5]: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [الضحى: ٨]»[6].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١٠٥/٨).

(٢) ينظر: النّكت في القرآن (٦٢٤).

(٣) النّكت في القرآن (٦٢٤).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٨٢/٢٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢٦٧/٢)، وبحر العلوم (٥٩١/٣)، والكشف والبيان (٢٢٢/١٠).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٨٢/٢٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢٦٧/٢)، وبحر العلوم (٥٩١/٣)، والكشف والبيان (٢٢٢/١٠).

(٦) مشكل إعراب القرآن (٨٢٤/٢).

ويرى أبو حيّان الأندلسي أنّ معنى: ﴿ضَآلًّا﴾ لا يمكن حملُه على الضَّلال الّذي يقابله الهدى؛ لأنّ الأنبياء معصومون من ذلك، إذ قال: «﴿وَوَجَدَكَ﴾، أي: وجدَ رهطَك، ﴿ضَآلًّا﴾، فهداه بك... على حذف مضاف»(١).

وشبيه بهذا القول، ما ذكره الخطيب الشّربينيّ، إذ قال: «الخطاب للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره؛ أي: وجد قومَك ضُلّالاً فهداهم بك»(٢).

وقرئ(٣): «**وَوَجَدَكَ ضالٌّ فَهَدَىٰ**»، بتنوين الرّفع، على تقدير: ووجدك الضّال فاهتدى بك، فـ (ضالٌّ) فاعل لـ (وجد)، والكاف ضمير متصل مفعول به، نسبها أبو الحسن الماورديّ إلى الحسن البصريّ(٤)، إذ قال: «وقرأ الحسن: ووجدَك ضالٌّ، أي وجَدَك الضالُّ فاهتدى بك»(٥)، وقال القرطبيّ: إنّ هذه القراءة قراءة تفسير، إذ قال: «وفي قراءة الحسن: «**وَوَجَدَكَ ضالٌّ فَهَدَىٰ**»، أي: وجدك الضّالُّ فاهتدى بك، وهذه قراءةٌ على التّفسير»(٦).

والّذي أره أنّ هذه القراءة - وإن كانت قراءة شاذّة - فهي قراءة تفسير، وهو قول القرطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ والتّوجيه الّذي ذُكر هو توجيه مبنيّ على تفسير القراءة الأُوْلى، كما بيّن ذلك أبو حيّان والخطيب الشّربينيّ، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط (٤٦٧/١٠).
(٢) السّراج المنير (٥٥٢/٤).
(٣) ينظر: النّكت والعيون (٢٩٤/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٩٩/٢٠).
(٤) تقدّمت ترجمته.
(٥) النّكت والعيون (٢٩٤/٦).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٩٩/٢٠).

المبحث الثّاني
توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وحذف الفاعل

أوّلاً: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]:

قرأَ الجماعة[١]: ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، برفع ﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، كونه فاعلاً للفعل ﴿ٱلۡتَقَى﴾، والمراد يوم أُحد، و﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: جمع المسلمين أصحاب النّبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجمع المشركين الّذين كانوا مع أبي سفيان[٢]، قال ابنُ محمّدٍ الجوزيُّ: «﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: النّبيّ وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أُحد»[٣].

وقرئ[٤]: «يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَيْنِ»، بنصب (الجمعين)، وهي قراءة شاذّة، خرّجها أبو البقاء العُكْبَريُّ على إضمار الفاعل، وتقدير الكلام: يوم التقى محمّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمعين، إذ قال: «يقرأ: (الجمعين) - بالياء، والفاعل مضمرٌ، والّذي أصابكم يوم التقى محمّدٌ الجمعين»[٥].

والّذي أراه أنّ ما ذهب إليه أبو البقاء مردودٌ نقلاً وعقلاً، فأمّا النّقل فقد بيّن المفسِّرون أنّ معنى: ﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ في هذه الآية، أحدهما: محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والآخر: جمع المشركين، ومقام الآية الّتي قبلها تقوّي المعنى وتؤكّده.

وأمّا العقلُ فهو أنّنا بهذا التّخريج خرّجنا النّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جمع المؤمنين، وكأنّه حَكَمٌ فاصلٌ بين الجمعين، وهذا يخالف نصوص القرآن الكريم أيضاً، فالّذي أراه أنّ هذه القراءة - وهي قراءة شاذّة - مخالفة لأصول القواعد العربيّة، وللمعنى المراد من الآية، فلا يصحّ القراءة بها، ولا الاحتجاج بها، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٢٣٩/١)، وجامع البيان (٣٧٧/٧)، وبحر العلوم (٢٦٢/١)، والكشف والبيان (١٨٨/٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٤٢١/٩).

(٣) زاد المسير (٣٤٥/١).

(٤) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (٣٥٥/١).

(٥) المصدر نفسه.

ثانياً: قول الله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]:

قرأ الجمهور[١]: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، برفع لفظ الجلالة كونه فاعلاً للفعل ﴿حَفِظَ﴾، ومعنى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، أي: حفِظَهُنّ اللهُ، أو بحِفْظِ اللهِ إيّاهَا[٢].

قال الفرّاء: «وقوله: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، القراءة بالرّفع، ومعناه: حافظات لغيب أزواجهنّ بما حفظهنّ اللهُ حين أوصى بهنّ الأزواجَ»[٣].

وذكر النّحّاس قولاً قريباً من قول الفرّاء، إذ قال بعد ذكر الآية: «أي: حافظات لمغيب أزواجهنّ بحفظ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وتسديده، وقيل: بما حفظهنّ اللهُ في مهورهنّ وعشرتهنّ، وقيل: بما استحفظهنّ اللهُ إيّاهنّ من أداء الأمانات إلى أزواجهنّ»[٤]، وذهب إلى هذا القول أبو اللّيث السّمرقنديّ[٥]، وأبو القاسم النّيسابوريّ[٦]، وفخرُ الدّين الرّازيّ[٧]، وعبد الرّحمن الثّعالبيّ[٨].

ولخّص الخطيب الشّربينيّ ما قيل من أقوال في تفسير هذه الآية، إذ قال: «أي: بما حفظهنّ اللهُ حين أوصى بهنّ الأزواج في كتابه، وأمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: «استوصوا بالنّساء خيراً»[٩]، أو بما حفظَهنّ اللهُ وعصمهنّ ووفقهنّ لحفظ الغيب، أو بما حفظهنّ حين وعدهنّ الثّوابَ العظيمَ على حفظ الغيب، وأوعدهنّ بالعذاب الشّديد على الخيانة»[١٠].

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (١/٢٦٥)، وجامع البيان (٨/٢٩٦)، ومختصر ابن خالويه (٢٦)، والمبسوط في القراءات العشر (١٧٩)، وزاد المسير (١/٤٠٢)، والكامل في القراءات (٥٢٧).
(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٢٩٦).
(٣) معاني القرآن (١/٢٦٥).
(٤) إعراب القرآن (١/٢١٢).
(٥) ينظر: بحر العلوم (١/٣٠٠).
(٦) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/٢٣٨).
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٧١).
(٨) ينظر: الجواهر الحسان (٢/٢٩٢).
(٩) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «واستَوصُوا بالنّساءِ خيراً، فإنّهنّ خُلِقنَ مِن ضلعٍ، وإنّ أعوَجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُهُ كسرتَهُ، وإن تركتَهُ لم يزلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنّساء خيراً». صحيح البخاريّ (٧/٣٤).
(١٠) السّراج المنير (١/٣٠٠).

وفي (مَا) على هذه القراءة ثلاثةُ أوجه[1]:

الوجه الأوّل: أنّها مصدريّة، والمعنى: بحفظ الله إيَّاهُنَّ، أي: بتوفيقه لهنّ، أو بالوصيّة منه تعالى عليهنّ، وهو قول أبي إسحاق الثّعلبيّ[2]، ومكّي القيسيّ[3]، والزّمخشريّ[4]، وابن عطيّة في أحد قوليه[5]، والرّازيّ في أحد قوليه[6]، والقرطبيّ كذلك[7]، واختاره أبو حيّان، إذ قال: «وقرأ الجمهور: برفع الجلالة، فالظّاهر أن تكون (ما) مصدريّة، والتّقدير: بحفظِ اللهِ إيّاهُنّ»[8].

والوجه الثّاني: أن تكُونَ بمعنى: الّذي، والعائد محذوفٌ، أي: بالَّذي حفظه اللهُ لَهُنَّ من مهورِ أزواجهِنَّ، والنّفقة عليهنّ، وهو قول أبي زكريّا الفرّاء[9]، وأبي إسحاق الزّجّاج[10]، والنّحّاس[11]، وأبي القاسم الكرماني في أحد قوليه[12]، وابن عطيّة في أحد قوليه[13].

وقد فصّل الرّازي القول في هذين الوجهين، إذ قال: «(ما) في قوله: ﴿**بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ**﴾، فيه وجهان:

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٢٦٥/١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٤٧/٢)، والكشف والبيان (٣٠٣/٣)، ومشكل إعراب القرآن (١٩٧/١)، والتّبيان في إعراب القرآن (٣٥٤/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٣٠٣/٣).

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١٩٧/١).

(٤) ينظر: الكشّاف (٥٣٨/١).

(٥) ينظر: المحرّر الوجيز (٤٧/٢).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب (٧١/١٠).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧٠/٥).

(٨) البحر المحيط (٦٢٤/٣).

(٩) ينظر: معاني القرآن (٢٦٥/١).

(١٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٢).

(١١) ينظر: إعراب القرآن (٢١٢/١)، ومعاني القرآن (٧٨/٢).

(١٢) ينظر: غرائب التّفسير (٢٩٥/١).

(١٣) ينظر: المحرّر الوجيز (٤٧/٢).

الأول: بمعنى: الّذي، والعائد إليه محذوف، والتّقدير: بما حفظه اللهُ لهنّ، والمعنى: أنّ عليهنّ أن يحفظن حقوق الزّوج في مقابلة ما حفظ اللهُ حقوقهنّ على أزواجهنّ، حيث أمرهم بالعدل عليهن وإمساكهن بالمعروف وإعطائهنّ أجورهنّ، فقوله: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، يجري مجرى ما يقال: هذا بذاك، أي هذا في مقابلة ذاك.

والوجه الثّاني: أن تكون (ما) مصدريّة، والتّقدير: بحفظ الله، وعلى هذا التّقدير ففيه وجهان:

الأوّل: أنّهنّ حافظات للغيب بما حفظ اللهُ إيّاهنّ، أي: لا يتيسّر لهنّ حفظٌ إلّا بتوفيق الله، فيكون هذا من باب إضافة المصدر إلى الفاعل.

والثّاني: أنّ المعنى هو أنّ المرأة إنّما تكون حافظة للغيب بسبب حفظهنّ الله، أي: بسبب حفظهنّ حدودَ اللهِ وأوامرَه، فإنّ المرأة لولا أنّها تحاول رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ أوامره لما أطاعت زوجها، وهذا الوجه يكون من باب إضافة المصدر إلى المفعول»[1].

والوجه الثّالث: من أوجه توجيه (ما) على هذه القراءة أن تكون (مَا) نكرة موصوفة، والعائد محذوفٌ أيضاً، كما تقرّر في الموصولة، بمعنى: الَّذِي، وهو قول أبي البقاء العُكْبَريّ في أحد أقواله، إذ قال: «في (ما) ثلاثةُ أوجه: بمعنى الّذي، ونكرةٌ موصوفةٌ، والعائدُ محذوفٌ على الوجهين، ومصدريّةٌ»[2].

وقرأَ أبو جعفر يزيد بن القعقاع[3]: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهَ﴾ بنصب لفظ الجلالة، وهي من القراءات المتواترة[4].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠/٧١).

(٢) التّبيان في إعراب القرآن (١/٣٥٤).

(٣) هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المخزوميّ المدنيّ القارئ، أحد القرّاء العشرة، تابعيّ مشهور كبير القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز، وقيل: فيروز، وكان من المفتين المجتهدين، توفّي في المدينة في سنة (١٣٢هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٢/٣٨٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (١/٢٦٥)، وجامع البيان (٨/٢٩٦)، وإعراب القرآن للنحّاس (١/٤٥٢)، ومختصر ابن خالويه (٢٦)، والمبسوط في القراءات العشر (١٧٩)، والمحتسب (١/١٨٨)، وزاد المسير (١/٤٠٢)، والكامل في القراءات (٥٢٧).

واختلف علماء التّفسير واللّغة في هذه القراءة على مذهبين[١]:

أحدهما: وهم الّذين وقفوا من هذه القراءة موقف الموجّه فقط دون ترجيح أو مفاضلة بينها وبين القراءة الأولى، ومن أصحاب هذا المذهب أبو الفتح عثمانُ ابنُ جنّي[٢]، وأبو إسحاق الثّعلبيُّ[٣]، ومكّي القيسيّ[٤]، وأبو القاسم الكرمانيُّ[٥]، وأبو محمّد البغويُّ[٦]، والزّمخشريُّ[٧]، وابن عطيّة[٨]، وابن محمّد الجوزيُّ[٩]، والقرطبيُّ[١٠]، والبيضاويُّ[١١]، وأبو حيّان الأندلسُّي[١٢]، وابن هشام الأنصاريّ[١٣].

وهؤلاء لهم في توجيه نصب لفظ الجلالة أربعة أقوال[١٤]:

القول الأوّل: قول أبي إسحاق الزّجّاج - في أحد قوليه - إذ قال: «تأويله - والله أعلم - بالشّيءِ الّذي يحفظ أمرَ الله ودينَ اللهِ»[١٥]، فتوجيهه مبنّي على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وتبعه أبو الفتح بن جنّي، إذ قال: «هو على حذف المضاف؛

(١) ينظر: المحتسَب في تبيين وجوه القراءات (١٨٨/١)، والكشف والبيان (٣٠٣/٣)، والهداية إلى بلوغ النّهاية (١٣١٣/٢)، والكشّاف (٥٣٨/١).
(٢) ينظر: المحتسَب في تبيين وجوه القراءات (١٨٨/١).
(٣) ينظر: الكشف والبيان (٣٠٣/٣).
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (١٣١٣/٢).
(٥) ينظر: غرائب التّفسير (٢٩٥/١).
(٦) ينظر: معالم التّنزيل (٦١٢/١).
(٧) ينظر: الكشّاف (٥٣٨/١).
(٨) ينظر: المحرّر الوجيز (٥٨/٢).
(٩) ينظر: زاد المسير (٤٠٢/١).
(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧٠/٥).
(١١) ينظر: أنوار التنزيل (٧٣/٢).
(١٢) ينظر: البحر المحيط (٦٢٤/٣).
(١٣) ينظر: مسائل في إعراب القرآن (٨، ٩).
(١٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٢)، والمحتسَب في تبيين وجوه القراءات (١٨٨/١)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٣١٣/٢).
(١٥) معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٢).

أي: بما حفظ دينَ الله، وشريعةَ اللهِ، وعهودَ الله»[1]، وتبعهما أبو القاسم الكرمانيّ[2]، وابن الشّجريّ[3]، والقرطبيُّ[4].

القول الثّاني: قول أبي إسحاق الثّعلبيّ، إذ قال: «وقرأ أبو جعفر بفتح الهاء، ومعناه: بحفظ من الله في الطّاعة، وهذا كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... احفظِ اللهَ يحفظْكَ ...»»[5][6]، وهو القول الثّاني الّذي ذكره الزّجّاج[7]، وتبعه مكّي القيسيُّ[8]، وأبو محمّد البغويُّ[9]، وابن عطيّة[10]، وابن محمّد الجوزيُّ[11].

القول الثّالث: قول الزّمخشريّ، إذ قال: «وقرئ: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهَ﴾ بالنّصب؛ أي: حافظات للغيب بالأمر الّذي يحفظ حقَّ اللهِ، وأمانة الله، وهو التّعفّف والتّحصّن والشّفقة على الرّجال والنّصيحة لهم»[12]، وتبعه أبو حيّان الأندلسُّي[13].

القول الرّابع: أن يكون لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ فاعلاً، ولكنّه نصب لفهم المعنى وأمن اللّبس، ذكره ابن هشام الأنصاريّ في توجيه قراءة النّصب في مسألة: أين الفاعل في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهَ﴾، بنصب اسم الله عَزَّوَجَلَّ؟

---

(١) المحتسَب في تبيين وجوه القراءات (١/١٨٨).
(٢) ينظر: غرائب التّفسير (١/٥٩٥).
(٣) ينظر: أمالي ابن الشّجريّ (٢/٥٢١).
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٧٠).
(٥) من حديث عبد الله بن عبّاس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «يا غلامُ، احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدهُ تُجاهك». ينظر: مسند الإمام أحمد (٤/٤٨٧).
(٦) الكشف والبيان (٣/٣٠٣).
(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٧).
(٨) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٢/١٣١٣).
(٩) ينظر: معالم التّنزيل (١/٦١٢).
(١٠) ينظر: المحرّر الوجيز (٢/٥٨).
(١١) ينظر: زاد المسير (١/٤٠٢).
(١٢) الكشّاف (١/٥٣٨).
(١٣) ينظر: البحر المحيط (٣/٦٢٥).

فذكر أنّ الجواب من وجهين، أحدهما: «أن يكون اسم الله تعالى فاعلاً، ولكنّه نصب لفهم المعنى، فإنّه من كلامهم أنّ الفاعل ربمّا نصب إذا أمن الإلباس كقولهم: (كَسرَ الزّجاجُ الحجرَ)، و(خرقَ الثّوبُ المسمارَ) - رويا برفع (الزّجاج) و(الثّوب)، ونصب (الحجر)، و(المسمار) -... وعلى هذا فيتّحد مع قراءة السّبعة، والمعنى: عليهما بحفظ الله لهنّ، والمفعول محذوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. الثّاني: أن يكون ضميراً مستتراً في حفظ، وفي مرجعه وجهان:

أحدهما: النّسوة المذكورات وذلك باعتبار المعنى دون اللّفظ، أي: بما حفظ هو أي: بما حفظ من ذكر كما جاء خبر النّساء: «صوالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»[١]، أي: أحنى من ذكر وأرعى من ذكر.

والثّاني: (ما) على أن تقدّر موصولة واقعة على دينهن، أي: حافظات للغيب بالّذي حفظ الله من دينهن»[٢].

وقد ردّ ابنُ هشام هذا الوجه، إذ قال: «وأمّا المِثَالان[٣]؛ فلأنّهم نصبوا فيهما الفاعل ورفعوا المفعول، ولا يلزم من جواز ذلك نصب الفاعل إذا انفرد عن المفعول؛ لأنّ نصبه حينئذ يؤدّي إلى خلوّ الكلام من مرفوع ألبتّة»[٤]. وردُّه هذا قد ينطبق على المثالين - كما ذكر - ولكن لا ينطبق على قراءة أبي جعفر؛ لما بيّنته من أقوال العلماء فيها، أضف إلى ذلك أنّها قراءة متواترة، والله تعالى أعلم.

والمذهب الثّاني: وهم الّذين وقفوا من هذه القراءة موقف النّاقد، أو المرجّح، أي ترجيح الرّفع على النّصب، ومن هؤلاء أبو جعفر الطّبريّ، إذ قال: «والصّوابُ من القراءة في ذلك ما جاءت به قرَأَةُ المسلمين من القراءة مجيئاً يقطع عذرَ من بَلغه ويُثبّتُ عليه

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٩٥٨/٤)، رقم الحديث (٢٥٢٧).
(٢) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن (٨، ٩).
(٣) وهما: كسر الزّجاجُ الحجرَ، وخرقَ الثّوبُ المسمارَ.
(٤) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن (٨، ٩).

حجّته، دون ما انفرد به فشذّ عنهم، وتلك القراءة ترفع اسم (الله) تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، مع صحّة ذلك في العربيّة وكلام العرب، وقبح نصبه في العربيّة؛ لخروجه عن المعروف من منطق العرب؛ وذلك أنّ العربَ لا تحذف الفاعلَ مع المصادر، من أجل أنّ الفاعل إذا حُذف معها لم يكن للفعل صاحبٌ معروف»[١].

ثمّ يأتي من بعده أبو جعفر النّحاس؛ ليرجّح قراءة الرّفع، إذ قال: «الرّفع أبين، أي: حافظات لمغيب أزواجهنّ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ وتسديده»[٢].

واختاره أبو القاسم الهذليّ كذلك، إذ قال: «﴿حَفِظَ ٱللَّهَ﴾ بنصب الهاء أبو جعفر، الباقون بالرّفع وهو الاختيار»[٣].

والّذي أراه أنّ ما ذهب إليه أبو جعفر الطّبريّ، وأبو القاسم الهذليّ يحتاج إلى تأمّل، ولا سيّما أنّ قراءة أبي جعفر قراءة متواترة، ويبدو أنّهما اعتمدا في توجيه قراءة النّصب على من قال بأنّ (ما) مصدريّة، وحينئذٍ يبقى الفعل بلا فاعل، ولم يلتفتا إلى التّوجيهين الأخيرين في كونها بمعنى: الّذي، أو نكرة موصوفة، وهو ما ذكره أكثر العلماء، إذ ذكروا أنّ في (مَا) - على هذه القراءة - ثلاثةَ أوجه[٤]:

الوجه الأوّل: أنّها بمعنى: الّذي، وهو قول الزّمخشريّ[٥]، واختاره ابن عطيّة[٦]، وابن الشّجريّ[٧]، والباقوليّ[٨]، والبيضاويّ[٩]، وهو الظّاهر عند أبي حيّان[١٠].

---

(١) جامع البيان (٨/٢٩٧).
(٢) إعراب القرآن (١/٢١٢).
(٣) الكامل في القراءات العشر (٥٢٧).
(٤) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (١/٣٥٤)، والبحر المحيط (٣/٦٢٤)، والدّرّ المصون (٣/٦٧٠).
(٥) الكشّاف (١/٥٣٨).
(٦) المحرّر الوجيز (٢/٥٨).
(٧) أمالي ابن الشّجري (٢/٥٢١).
(٨) إعراب القرآن (٢/٤١٧).
(٩) أنوار التّنزيل (٢/٧٢).
(١٠) البحر المحيط (٣/٦٢٥).

والوجه الثَّاني: أنّها نكرةٌ موصُوفَةٌ، وفي ﴿**حَفِظَ**﴾ ضمير يعُودُ على (ما)، أي: بما حفظ من البرِّ والطّاعة، ولابد من حذفِ مضافٍ تقديره: بما حَفِظَ دينَ الله، أو أمرَ الله؛ لأنَّ الذَّات المقدَّسة لا يحفظها أحَدٌ، وهو قول أبي البقاء العُكْبَريّ في أحد أقواله[1].

والوجه الثّالث: أن تكونَ (ما) مصدريّة، والمعنى: بما حَفِظَنَ اللهَ في امتثال أمره، وساغَ عودُ الضّمير مُفرداً على جمعِ الإناثِ؛ لأنَّهنَّ في معنى الجنس كأنّه قيل: فمن صلح، فعاد الضَّميرِ مفرداً بهذا الاعتبارِ، وهو قول أبي إسحاق الثّعلبيّ، إذ قال: «و(ما) على القراءتين مصدريّة»[2]، وهذا الوجه - الّذي اختاره أبو إسحاق الثّعلبيّ - هو الّذي دفع أبا جعفر الطّبريّ إلى أن يخطّئ القراءة وصاحبَها، وأبا القاسم الهذليّ كذلك، الّذي ردّ القراءة الثّانية[3].

إلّا أنّ هذا الوجه قد رَدّه الكثير من العلماء، ومنهم أبو القاسم الكرمانيّ، إذ قال: «لا تحتمل المصدر؛ لأنّه يبقى الفعل بلا فاعل»[4]؛ لذا ردّ أبو الحسن الباقوليُّ قول أبي الفتح بن جنّي، فيما ذهب إليه، إذ قال: «بالنّصب، على أنّ (ما) بمعنى: الّذي، أي: بالشّيء الّذي حفظ أمرَ الله، فلا تكون (ما) مصدريّة، كما ذهب إليه عثمان في (المحتسب)؛ لأنّه يبقى: ﴿**حَفِظَ**﴾ بلا فاعل»[5]، والحقّ يقال: إنّ ابن جنّي لم يصرّح في كتابه (المحتسب) بأنّها مصدريّة، بل اكتفى بذكر توجيه قراءة نصب لفظ الجلالة، إذ قال: «هو على حذف المضاف؛ أي: بما حفظ دين الله وشريعة الله وعهود الله»[6].

(١) التّبيان في إعراب القرآن (٣٥٤/١).
(٢) الكشف والبيان (٣٠٣/٣).
(٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٢٦٥/١)، وغرائب التّفسير (٢٩٥/١)، والمحرّر الوجيز (٥٨/٢)، وأنوار التّنزيل (٧٣/٢)، والبحر المحيط (٦٢٥/٣).
(٤) غرائب التّفسير (٢٩٥/١).
(٥) إعراب القرآن (٤١٧/٢).
(٦) المحتَسَب في تبيين وجوه القراءات (١٨٨/١).

ويرى أبو البركات ابن الأنباريّ أنّ جَعْل (ما) هاهنا مصدريّة فاسدٌ من جهة الصّناعة اللّفظيّة، وإن كان صحيحاً في المعنى؛ «لأنّ (ما) المصدريّة حرف، وإذا كانت حرفاً لم يكن في ﴿حَفِظَ﴾ ضمير عائد إليها؛ لأنّه لا حظّ للحرف في عود الضّمير؛ فيبقى ﴿حَفِظَ﴾ بلا فاعل، والفعل لابد له من فاعل، وذلك محال؛ فوجب أن تكون بمعنى: الّذي»[١].

لذا فإنّ في توجيه هذه الآية على هذه القراءة سعةً على ما بيّنته من أقوال العلماء؛ فلا يحقّ لأحد أنّ يخطّئ قارئها؛ لأنّها قراءة متواترة مشهورة، ومن الغريب أنّ أبا البقاء العُكْبَرِيَّ، قد ذكر هذه القراءة في كتابه (إعراب القراءات الشّواذّ)[٢]، مع أنّها كما قلت: قراءة متواترة، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

قرأ الجماعة[٣]: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾، وعلى هذه القراءة فـ ﴿عَيۡنَاكَ﴾ مرفوع بـ ﴿تَعۡدُ﴾، وهو فعل لازمٌ، قال الفرّاء: «وقوله: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ الفعل للعينين: لا تنصرف عيناك عنهم»[٤].

وقد ذكر علماء التّفسير في بيان معنى الآية قولين[٥]:

القول الأوّل: وهو قول الطّبريّ، إذ قال: «يقول جَلَّجَلَالُهُ لنبيّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ولا تَصْرِفْ عيناك عن هؤلاء الّذين أمرتك يا محمّد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفّار، ولا تجاوزهم إليه، وأصله من قولهم: عدوت ذلك، فأنا أعدوه: إذا جاوزته»[٦].

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (١/٢٥٢).
(٢) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ (١/٣٨٤).
(٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٢/١٤٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٣/٢٨١)، والكشّاف (٢/٦٧١)، مفاتيح الغيب (٢١/٤٥٥)، والتّبيان في إعراب القرآن (٢/٨٤٥).
(٤) معاني القرآن (٢/١٤٠).
(٥) ينظر: جامع البيان (١٨/٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٢٨١)، والكشف والبيان (٦/١٦٦).
(٦) جامع البيان (١٨/٦).

وتبعه أبو إسحاق الزّجّاج[١]، وأبو اللّيث السّمرقنديّ[٢]، وأبو إسحاق الثّعلبيّ[٣]، ومكّي القيسيّ[٤]، وهو قول أكثر علماء التّفسير[٥].

القول الثّاني: وهو قول القشيريّ، إذ قال: «أي: لا ترفع بصرك عنهم، ولا تقلع عنهم نظرك»[٦]. وهذا المعنى لا يخرج عن القول الأوّل.

أمّا توجيه الآية على هذه القراءة، فللعلماء فيها ستّة أقوالٍ[٧]:

القول الأوّل: إنّ ﴿عَيْنَاكَ﴾ مرفوع بالفعل (عدا) اللّازم، وهو قول الفرّاء[٨]، وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ[٩].

القول الثّاني: إنّ الفعل (عدا) متعدٍّ، فـ ﴿عَيْنَاكَ﴾ فاعل، والمفعول به محذوف، تقدير الكلام: لا تصرف عيناك النّظرَ، وهو قول أبي حيّان الأندلسيّ، إذ قال: «أَي: لا تصرف عيناكَ النَّظرَ عنهم إلى أبناءِ الدُّنيا، و(عَدَا) متعدّ تقولُ: عدا فلانٌ طورَه، وجاءَ القومُ عدَا زيداً؛ فلذلكَ قدَّرنا المفعولَ محذوفاً؛ ليبقى الفعلُ على أَصلهِ مِن التّعدية»[١٠].

القول الثّالث: إنّ الفعل (عدا) متعدٍّ، لكنّه ضُمّن معنى فعلٍ لازمٍ، وهو: نبا، وعلا؛ لذا عدّي بـ (عن)، وهو قول الزّمخشريّ، إذ قال: «يقال: عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم: عدا طوره، وجاءني القومُ عدا زيداً، وإنّما عُدّي بـ (عن)؛ لتضمين (عدا) معنى: نبا وعلا، في قولك: نبَتْ عنه عينُه، وعلَتْ عنه عينُه: إذا اقتَحَمَتْه ولم تعلق به، فإن

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨١/٣).
(٢) ينظر: بحر العلوم (٣٤٤/٢).
(٣) ينظر: الكشف والبيان (١٦٦/٦).
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٣٦٤/٦).
(٥) ينظر: معالم التّنزيل (١٦٦/٥)، والمحرّر الوجيز (٥٣٧/٣)، وزاد المسير (٧٩/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٥٥/٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٩١/١٠)، وأنوار التّنزيل (٢٧٩/٣)، ومدارك التّنزيل (٢٩٨/٢).
(٦) لطائف الإشارات (٣٩٢/٢).
(٧) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (١٤٠/٢)، والتّبيان في إعراب القرآن (٨٤٥/٢)، وغرائب التّفسير (٦٥٨/١).
(٨) ينظر: معاني القرآن (١٤٠/٢).
(٩) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٨٤٥/٢).
(١٠) البحر المحيط (١٦٦/٧).

قلت: أي غرض في هذا التّضمين؟ وهلّا قيل: ولا تَعْدُهُم عيناك، أو لا تعلُ عيناك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنًى فذٍّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتَحِمهُم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟»[١]، وتبعه أبو سعيد البيضاويّ[٢]، وأبو البركات النّسفيّ[٣]، وأبو السّعود[٤].

وقد ردّ أبو حيّان ما ذهب إليه الزّمخشريّ مدّعياً أنّ التّضمين إنّما يلجأُ إليه عند الضّرورة ولا ينقاس عند البصريّين، إذ قال: «وما ذكرهُ من التّضمين لا ينقاسُ عند البصريِّين وإنّما يُذهبُ إليه عند الضّرورة، أمّا إذا أمكن إجراءُ اللَّفظ على مدلوله الوضعيّ فإنّهُ يكونُ أَولى»[٥]. وهو اعتراض حسن، إذ لا ضرورة ملزمة له، هذا أوّلاً، وثانياً: لا يجوز تخريج آيات كتاب الله على الضّرورات.

القول الرّابع: إنّ المعنى: لا تتجاوزْهم عيناك، ولكنه أُوصِل إلى المفعول بـ(عن)، حملاً على المعنى، وهو قول ابن الشّجريّ، إذ قال: «أي: لا تتجاوزْهم عيناك، من قولهم: لا تعدُ هذا الأمرَ، ولا تتعدَّه، أي: لا تتجاوَزْه، ولكنّه أُوصِل إلى المفعول بـ(عن)، حملاً على المعنى؛ لأنّك إذا جاوزتَ الشّيء وتعدّيته فقد انصرفت عنه»[٦]، وتبعه بدر الدّين الزّركشيّ[٧].

القول الخامس: إنّ ﴿عَيْنَاكَ﴾ بدل من الضّمير المستتر في ﴿تَعْدُ﴾، وهو قول السّمين الحلبيّ، وادّعى أنّ هذا القول لم يذكره غيره، إذ قال: «وقد ظهر لي وجهٌ حسنٌ لم أرَ غيري ذكره، وهو أن يكون ﴿تَعْدُ﴾ مسنداً لضميرِ المخاطب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و﴿عَيْنَاكَ﴾ بدلٌ من الضّميرِ، بدلُ بعضٍ من كلّ»[٨].

(١) الكشّاف (٦٧١/٢).
(٢) ينظر: أنوار التّنزيل (٢٧٩/٣).
(٣) ينظر: مدارك التّنزيل (٢٩٨/٢).
(٤) ينظر: إرشاد العقل السّليم (٢١٩/٥).
(٥) البحر المحيط (١٦٧/٧).
(٦) أمالي ابن الشّجريّ (٢٢٣/١).
(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣٤٠/٣).
(٨) الدّرّ المصون (٤٧٥/٧)، وينظر: اللّباب في علوم الكتاب (٤٧٠/١٢).

القول السّادس: إنّ النّهي الوارد في الآية للعينين والمراد صاحبهما، إذ المضافُ جزءٌ أو كالجزءِ، وحَسَّن ذلك أنَّ المقصودَ نهيُه هو عَلَيْهِ السَّلَامُ وإنّما جِيْءَ بقوله: ﴿عَيْنَاكَ﴾ والمقصودُ هو؛ لأنّهما بهما تكونُ المراعاةُ للشّخصِ والتّلفُّتُ له، وهو قول أبي القاسم الكرمانيّ، إذ قال: «النّهي للعينين، والمراد صاحبهما، وعدا كذا، إذا جاوز، متعدٍّ، وعدا عنه، إذا انصرف، لازمٌ»[1]. وهذا القول والقول الرّابع بمعنًى واحد، وهو المعنى الّذي يقرب ممّا ذكره الزّجّاج، إذ قال: «أي: لا تصرف بصرَك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزّينة»[2]، والله تعالى أعلم.

وقرئ[3]: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ بنصب ﴿عَيْنَاكَ﴾، على أن يكون الفعل متعدّياً، فـ ﴿عَيْنَاكَ﴾ مفعولٌ به، والفاعل ضمير المخاطب، وهو النّبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال أبو البقاء العُكْبَريُّ: «يُقرأُ ﴿عَيْنَاكَ﴾ بالنّصب، ويكون ﴿تَعْدُ﴾ لازماً ومتعدّياً»[4].

وردّ ابنُ الشّجريّ مَن قرأ بنصب ﴿عَيْنَاكَ﴾، وجهّل مَن زعم أنّ أصل العينين في الآية النّصب، إذ قال: «ومَن زعم أنّه كان حقّ الكلام: (لا تعدُ عينيك عنهم)؛ لأنّ (تعدو) متعدٍّ بنفسه، فليس قوله بشيء؛ لأنّ (عدوت) و(جاوزت)، بمعنًى، وأنت لا تقول: جاوز فلانٌ عينَيْه عن فلان... فإذا عرفته عرفت جهلَ الّذي زعم أنّه كان حقُّ العينين في الآية النّصب»[5].

والّذي أراه أن هذه الآية لا يصحّ فيها إلّا الرّفع - على ما ذكره ابن الشّجريّ - وما ذكره العلماء في توجيه قراءة النّصب هو نفسه الّذي ذكره العلماء في توجيهاتهم لقراءة الرّفع، ولا سيّما القول السّادس منها، والله تعالى أعلم.

(١) غرائب التّفسير (٦٥٨/١).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢٨١/٣).
(٣) ينظر: إعراب القراءات الشّواذ (١٢/٢)، وأنوار التّنزيل (٢٧٩/٣)، وإرشاد العقل السّليم (٢١٩/٥).
(٤) إعراب القراءات الشّواذ (١٢/٢).
(٥) أمالي ابن الشّجريّ (٢٢٥/١).

رابعاً: قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة: ١١٩]:

قرأَ الجمهور[١]: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾، برفع ﴿صِدۡقُهُمۡ﴾، على أنّه فاعل ﴿يَنفَعُ﴾، والمعنى: ينفعهم صدقُهم، الّذي يحتمل أن يكون صدقهم في العمل لله، ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رُسُلِه، في الحياة الّدنيا، وإنّما ينفعهم صدقهم هذا في ذلك اليوم المشهود - وإن كان نافعاً في كلّ الأيّام - لوقوع الجزاء فيه[٢]، وقيل: المراد صدقهم في الآخرة، وذلك في الشّهادة لأنبيائهم بالبلاغ، وفيما شهدوا به على أنفسهم من أعمالهم ويكون وجه النّفع فيه أن يكفّوا المؤاخذة بتركهم كتم الشّهادة؛ فيغفر لهم بإقرارهم لأنبيائهم وعلى أنفسهم[٣].

وقرئ[٤]: «يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقَهُمۡ»، بنصب «صِدۡقَهُمۡ»، وهي قراءة شاذّة، وفي نصبه أربعة أقوال[٥]:

القول الأوّل: إنّه منصوب على المصدر، أي: صدقوا صدقهم المعروف.

القول الثّاني: إنّه منصوب على نزع الخافض، فحذف حرف الجرّ، ووصل الفعل فنصب، أي: ينفع الصّادقين بصدقهم.

القول الثّالث: أن يكونَ مفعولاً لهُ؛ أي: لأجل صدقهم، وعلى هذه الأقوال الثّلاثة يكون الفاعلُ ضميرَ اسمِ اللهِ تعالى.

القول الرّابع: إنّه مفعول به، والفاعلُ مضمرٌ في ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ أَي: يصدُقُونَ الصِّدقَ، كقوله: صدَقْتُهُ القتالَ، والمعنى: يُحَقِّقُونَ الصِّدقَ.

---

(١) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٧٧/١)، وإعراب القراءات الشّواذ (٤٦٧/١)، والبحر المحيط (٤٢٢/٤)، الدّرّ المصون (٥٢١/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١١).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١١)، وبحر العلوم (٤٣٢/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٩/٦).

(٤) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٧٧/١)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٤٦٧/١)، والبحر المحيط (٤٢٢/٤)، الدّرّ المصون (٥٢١/٤).

(٥) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٧٧/١)، وإعراب القراءات الشّواذّ (٤٦٧/١)، والبحر المحيط (٤٢٢/٤)، الدّرّ المصون (٥٢١/٤).

وهذه الأقوال الأربعة ذكرها أبو البقاء العُكْبَريّ[١]، وذكرها أبو حيّان دون ردّ أو ترجيح، إذ قال: «وقُرِئَ بالنّصب، وخُرِّجَ على أنّه مفعولٌ لهُ، أي: لصدقهم، أو على إسقاطِ حرف الجرِّ، أي: بصدقهم، أو مصدرٌ مؤَكِّدٌ، أي: الّذينَ يصدقونَ صدقَهم، أو مفعولٌ به، أي: يصدقونَ الصِّدقَ، كما تقولُ: صدَقتُهُ القتالَ، والمعنى: يُحَقِّقُونَ الصِّدقَ»[٢].

وقد ردّ السّمينُ الحلبيّ، القولَ الثّاني، والثّالثَ منها، ورجّح القولين الأوّل والرّابع، وذكر أنّ علّة عدم جواز حمله على أن يكون مفعولاً له؛ لأنّه فاتَ شرطٌ من شروط النّصب، وهو اتحاد الفاعل، فإنَّ فاعلَ النّفعِ غيرُ فاعلِ الصّدقِ، وليس لقائلٍ أن يقولَ: يُنْصب بالصّادقين فكأنّه قيل: الّذين يَصدُقون لأجل صدقهم؛ فيلزمُ اتحادُ الفاعل؛ لأنّه يؤدّي إلى أنَّ الشّيء علّةٌ لنفسِه، وعلّة عدم جواز حمله على أن يكون منصوباً بنزع الخافض؛ لأنّ حذفَ الحرفِ لا يطّرد[٣].

والّذي أراه أنّ ما ذهب إليه السّمين الحلبيّ هو الصّواب؛ للعلل الّتي ذكرها فهي تقوّي ما ذهب إليه، وهو أقرب إلى المعنى المراد من الآية، فضلاً عن قربها إلى الأصول النّحوية، والله تعالى أعلم.

خامساً: قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]:

قرأَ ابنُ كثير، وابنُ عامر[٤]، وأبو عمرو[٥]، وحفص، ويعقوب[٦]، واليزيديّ[٧]،

(١) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٤٧٨/١).

(٢) البحر المحيط (٤٢٢/٤).

(٣) ينظر: الدّرّ المصون (٥٢١/٤).

(٤) هو عبد الله بن عامر بن زيد، أبو عمران اليحصبيّ الشّامي، أحد القرّاء السّبعة، توفّي في دمشق في سنة (١١٨هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية في طبقات القرّاء (٤٢٥/١).

(٥) هو أبو عمرو البصري المعروف، المتوفى (١٥٤هـ).

(٦) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، أبو محمّد الحضرميّ البصريّ، أحد القرّاء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، توفّي في سنة (٢٠٥هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (٣٨٦/٢).

(٧) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَويّ، أبو محمّد، اليزيديّ، عالم بالعربيّة والأدب، من أهل البصرة، مقرئ ثقة، كان نازلاً في بني عَدِيّ، فقيل له: العدويّ، توفّي في سنة (٢٠٢هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (٣٧/٢).

وابنُ محيصن، والحسن[1]: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2]، وذكر أبو جعفر الطّبري أنّها قراءة بعض المكّيّين، وبعض البصريّين، إذ قال: «وقرأ ذلك بعضُ المكيّين وبعضُ البصريّين: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتّاء ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ برفع (السّبيل)، على أنّ القصد لـ(السّبيل)، ولكنّه يؤنّثها، وكأنّ معنى الكلام عندهم: وكذلك نفصّل الآيات، ولتتّضح لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين»[3].

فعلى هذه القراءة يكون (السّبيل) فاعلاً، والفعل (تستبين) فعلاً لازماً، قال ابن الشّجريّ: «ومن قرأ بالتّاء ورفع (السّبيل) جعل التّاء علامةَ تأنيث، ولا ضمير في الفعل، ورفع (السّبيل) بفعله»[4].

و(السّبيل) يذكّر ويؤنّث، فتميم تذكّره، وأهل الحجاز تؤنّثه، ودليل المذكر، قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ودليل التّأنيث، قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ ولذلك قرئ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالياء والتّاء، قال الرّازيّ: «وأهل الحجاز يؤنّثون (السّبيل)، وبنو تميم يذكّرونه، وقد نطق القرآنُ بهما، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، وقال: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم: ٣]»[5].

---

(١) هو الحسن بن يسار البصريّ، أبو سعيد، تابعيّ، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمّة في زمنه، توفّي في سنة (١١٠هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (٢١١/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٣٧/١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢٥٤/٢)، وجامع البيان (٣٩٥/١١)، والسّبعة في القراءات (٢٥٨)، والحجّة في القراءات السّبع (١٤١)، والتّيسير في القراءات السّبع (١٠٣).

(٣) جامع البيان (٣٩٥٩/١١).

(٤) أمالي ابن الشّجري (١٧٩/٣).

(٥) مفاتيح الغيب (٨/١٣).

وقرأ نافع[1]، وأبو جعفر[2]: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وهي قراءة مشهورة متواترة[3] بنصب ﴿سَبِيلَ﴾، مفعولاً به، والفاعل ضمير المخاطب يعود على النّبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتّقدير: ولتستبين أنت سبيلَ المجرمين[4]، قال الفرّاء: «وقد يجعل الفعل للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنصب (السّبيل)، يراد به: ولتستبين يا مُحَمَّد سبيلَ المجرمين»[5]، فالفعل (تستبين) على هذه القراءة متعدٍّ، قال ابن خالويه: «ومن نصب جعل الخطاب بالفعل للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان اسمه مستتراً في الفعل، ونصب (السّبيل) بتعدّي الفعل إليها»[6].

والّذي أراه أنّ توجيه قراءة النّصب توجيهاً نحويّاً فيه إشكال من حيث المعنى، إذ ذكر العلماء أنّ المخاطب هو النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى هذا التّوجيه يكون المعنى: ولتستبين أنت أيّها النّبي سبيلَ المجرمين، فالإشكال هنا أنّ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عالماً بسبيل المجرمين، وأنّهم على باطل، فكيف يخاطَب؟! فالجواب عند الزّجّاج - أنّ الخطاب للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خطابٌ لأمّته؛ فالمعنى: ولتستبينوا أيّها المؤمنون سبيلَ المجرمين، إذ قال: «لأنّ المعنى: ولتستبين أنت يا محمّد سبيلَ المجرمين، فإن قال قائل: أفلم يكن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُستبيناً سبِيلَ المجرمين؟ فالجواب في هذا: أنّ جميعَ ما يخاطب به المؤمنون يخاطب به النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكأنّه قال: ولتستبينوا المجرمين، أي لتزدادُوا استِبانةً لها»[7]. وتبعه أبو زُرْعة[8]، ومكّي القيسيّ[9]، والقرطبيُّ[10]،

(١) هو نافع بن عبد الرّحمن ابن أبي نعيم اللّيثيّ، أبو رويم المقرئ المدنيّ، توفّي في سنة (١٩٩هـ). تنظر ترجمته في: معرفة القرّاء الكبار (٦٤/١).
(٢) تقدّمت ترجمته.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٣٧/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٥٤/٢)، وجامع البيان (٣٩٥/١١)، والسّبعة في القراءات (٢٥٨)، والحجّة في القراءات السّبع (١٤١)، والتّيسير في القراءات السّبع (١٠٣).
(٤) ينظر: أمالي ابن الشّجريّ (١٧٩/٣)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٢٤/١)، والتّبيان في إعراب القرآن (٥٠١/١).
(٥) معاني القرآن (٣٣٧/١).
(٦) الحجّة في القراءات السّبع (١٤١).
(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢٥٥/٢).
(٨) ينظر: حجّة القراءات (٢٥٣).
(٩) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٢٠٣٩/٣)، ومشكل إعراب القرآن (٢٥٥/١).
(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٣٧/٦).

وأبو حيّان الأندلسيّ[1]، وعلى هذا التّوجيه يرفع الإشكال الحاصل في قراءة النّصب، والله تعالى أعلم.

سادساً: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]:

قرأ الجمهور[2]: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾، برفع ﴿ٱلْجِنُّ﴾، واختلف العلماء في توجيهها على أربعة أقوال[3]:

القول الأوّل: إنَّ (تبيَّن) بمعنى: بَانَ وظَهر، و﴿ٱلْجِنُّ﴾ فاعلٌ، ولا حاجة إلى حذف مضاف، وموضع ﴿أَن﴾ بدلٌ، والمعنى: ظهر للجنّ جَهلُهم للنّاسِ؛ لأنّهم كانوا يُوهِمون النّاسَ بذلك، كقولك: بَانَ زيدٌ جهلُه، وهو قول ابن جرير الطّبريّ، إذ قال: «و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾، في موضع رفع بـ (تَبَيَّن)؛ لأنّ معنى الكلام: فلمّا خرّ تبيّن وانكشفَ، أن لو كان الجنّ يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذاب المهين»[4]، وهو أحسن ما قيل في الآية[5]، ورجّحه ابنُ هشام الأنصاريّ على غيره من الأقوال، إذ قال: «والأولَى أنّ (تبيّن) بمعنى: وضح، و﴿أَن﴾ وصلتها بدل اشتمال من الجنّ، أَي: وضح للنَّاس أَنّ الجنّ لو كانوا...»[6]، وهو قول أكثر علماء التّفسير[7]، واللّغة[8].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٥٢٩/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٣٧٤/٢٠)، ومعاني القراءات (٤٠٣/٥)، والمبسوط في القراءات (٣٦١)، والوجيز في شرح القراءات (٢٩٩)، والكامل في القراءات (٦٢٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٥٧/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢٤٧/٤)، وغرائب التّفسير (٩٣٠/٢)، ومعالم التّنزيل (٦٧٥/٣)، والكشّاف (٥٨٣/٣)، والمحرّر الوجيز (٤٧٦/٤)، والبحر المحيط (٥٣٢/٨).

(٤) جامع البيان (٣٧٤/٢٠).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنّحّاس (٤٠٣/٥).

(٦) مغني اللّبيب (٧١٩/١).

(٧) ينظر: بحر العلوم (٨٤/٣)، والكشف والبيان (٨١/٨)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٨٩/٣)، وغرائب التّفسير (٩٣٠/٢).

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢٤٧/٢)، والكشّاف (٥٨٣/٣)، وإعراب القرآن للباقوليّ (٥٨٥/٢)، والبحر المحيط (٥٣٢/٨)، ومغني اللّبيب (٧١٩/١).

وجوّز أبو البركات ابن الأنباريّ في موضع ﴿أَن﴾ الرّفعَ والنّصبَ، الرّفع على البدليّة والنّصب على حذف حرف الجرّ، إذ قال: «﴿أَن﴾ يجوز في موضعها الرّفع والنّصب، فالرّفع على البدل من ﴿ٱلْجِنُّ﴾، وهو بدل اشتمال، كقولهم: أعجبني زيدٌ عقلُه، وظهر عمْرٌو وجهُه، والنّصب على تقدير حذف حرف جرّ، وهي اللّام»[1].

القول الثّاني: إنّه على حذفِ مضافٍ تقديرُه: تبيَّن أَمرُ الجنِّ؛ أي: ظَهَرَ وبَانَ أيضاً، والفعل (تبيَّن) يأتي بمعنى: بَانَ، لازماً؛ فلمَّا حُذِف المضافُ، أقيم المضافُ إليه مقامه، وكان ممَّا يجوز تأنيثُ فعلِه، أُلحقت علامةُ التّأنيثِ، وقوله: ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾ بتأويلِ المصدرِ مرفوعاً بدلاً من الجنِّ، والمعنى: ظهر كونُهم لو علموا الغيبَ لَمَا لَبثوا في العذاب؛ أي: ظهر جهلُهم، وهو قول الفرّاء، إذ قال: «فلما خرّ تبيّن أمرُ الجنّ للإنس أنّهم لا يعلمون الغيبَ، ولو علموهُ ما عملوا بين يديه وهو ميت، و﴿أَن﴾ فِي موضع رفع: (تبيّن) أَنْ لو كانوا»[2]، وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ[3].

القول الثّالث: «إنَّ (تَبَيَّن) في الآية متعدٍّ بمعنى: أَدرك وعَلِم، وحينئذٍ يكون المرادُ بالجنِّ ضَعَفَتَهم، وبالضّميرِ في ﴿كَانُوا۟﴾ كبارَهُم ومَرَدَتَهم، وموضع ﴿أَن﴾ مفعولٌ به، وذلك أنَّ المَرَدَةَ والرّؤساءَ من الجنِّ كانوا يُوهمون ضعفاءهم أنّهم يَعلمون الغيبَ؛ فلمَّا خرّ سليمانُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ميّتاً، وقد مكثوا من قبل عاماً في العملِ، تبيّنت ضعفةُ الجنِّ أنَّ الرّؤساءَ منهم لو كانوا يعلمون الغيبَ - كما ادَّعوا - ما مكثوا في العذابِ المهين، وهو قول أبي محمّدٍ البغويّ، إذ قال: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾، أَي: علمتِ الجنُّ وأيقنت، أَنْ لَو كانُوا يعلمونَ الغيبَ ما لبثوا في العذابِ المهينِ»[4]، وتبعه الزّمخشري[5] - في أحد قوليه -، واحتمله ابن عطيّة[6]،

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/٢٧٧).
(٢) معاني القرآن (٢/٣٥٧).
(٣) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٦٥).
(٤) معالم التّنزيل (٣/٦٧٥).
(٥) ينظر: الكشّاف (٣/٥٨٣).
(٦) ينظر: المحرّر الوجيز (٤/٤٧٦).

وأبو حيّان الأندلسي[١]، وعبد الرّحمن الثّعالبيّ[٢].

وردّه ابن هشام الأنصاريّ، إذ قال: «وهذا معنًى حسن، إلّا أنّ فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدّليل عليهما»[٣].

القول الرّابع: إنّ (تبيّن) في الآية متعدٍّ، و﴿ٱلْجِنُّ﴾، فاعل، والمفعول به محذوف، وتقدير الكلام: تبيّنت الجنُّ موتَه، وهو قول أبي إسحاق الزّجّاج[٤]، وتبعه أبو جعفر النّحّاس[٥].

وقرئ[٦]: «تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنَّ» بنصب الجنّ، وتقدير الكلام: تبيّنت الإنسُ الجنَّ.

وللعلماء فيها موقفان[٧]:

أحدهما: وأصحابه لم يبيّنوا أنّها قراءة، ولكن أشاروا إليها إشارة أنّه لو قرئ بها فتوجيهها على ما بيّنته، ومن هؤلاء العلماء أبو زكريّا الفرّاء، إذ قال: «فلو قرأ قارئ: «تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنَّ أَن لَّوْ كَانُواْ» بجعل الفعل للإنس ويضمرهم في فعلهم؛ فينصب «ٱلْجِنَّ» بفعل (الإنس)، وتكون ﴿أَن﴾ مكرورة على «ٱلْجِنَّ» فتنصبها»[٨].

وتبعه ابن جرير الطّبريّ الّذي صرّح أنه لا يعلم أحداً قرأ بها، إذ قال: «غير أنّي لا أعلم أحداً من قرّاء الأمصار يقرأ ذلك بنصب «ٱلْجِنَّ»، ولو نصب كان في قوله ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ ضميرٌ من ذكر الإنس»[٩].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٥٣٢/٨).
(٢) ينظر: الجواهر الحسان (٣٦٨/٤).
(٣) مغني اللّبيب (٧١٩/١).
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٤٧/٢).
(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢٣١/٣).
(٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٥٧/٢)، وجامع البيان (٣٧٤/٢٠)، معاني القرآن للنّحّاس (٤٠٥/٥)، والمحرّر الوجيز (٤٧٧/٤)، والبحر المحيط (٥٣٢/٨)، والدّرّ المصون (١٦٨/٩).
(٧) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٥٧/٢)، وجامع البيان (٣٧٤/٢٠)، معاني القرآن للنّحّاس (٤٠٥/٥).
(٨) معاني القرآن (٣٥٧/٢).
(٩) جامع البيان (٣٧٤/٢٠).

والموقف الثّاني: وأصحابه ذكروا أنّها قراءة ولم ينسبوها، وتقدير الكلام: تبيّنتِ الإنسُ الجنَّ، وهو أبو جعفر النّحّاس، إذ قال: «ومن قرأ: «**تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ**»، أراد: تبيّنتِ الإنسُ الجنَّ»[1].

وهذا ما ذكره ابنُ عطيّة بقوله: إنّ لهذه القراءة إشارةً في كتاب أبي جعفر النّحّاس، إذ قال: «وفي كتاب النّحّاس إشارةٌ إلى أنّه يُقرَأ: «**تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ**» أي: تبيّنتِ الإنسُ الجنَّ»[2]، وذكره أيضاً أبو حيّان الأندلسيّ[3]، والسّمين الحلبيّ[4].

والّذي يؤيّد ما نقله أبو جعفر النّحّاس، قراءة ابن مسعود[5] وابن عبّاس: (تَبَيَّنَتِ الإنسُ أَنْ لَو كَانُوا يَعلمونَ الغيبَ ما لبثوا في العذابِ المهينِ)، وقراءة يعقوب[6]: ﴿تُبُيِّنَتِ **ٱلْجِنُّ**﴾ على البناءِ للمفعولِ، أي: تبيّنتِ الأنسُ الجنّ، قال السّمين الحلبيّ: «وقرأ ابن عباس ويعقوب: ﴿تُبُيِّنَتِ **ٱلْجِنُّ**﴾ على البناءِ للمفعولِ، وهي مؤيِّدَةٌ لِما نقله النّحّاسُ»[7].

والّذي أراه أنّ ما ذكره العلماء من أقوال في هذه القراءة، هي أقوال تفسيريّة مبيّنة للمعنى المقصود من الآية، والدّليل على ما ذكرتُ قول مقاتل بن سليمان في تفسير الآية: ﴿**تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ**﴾، بالرّفع، إذ قال: «تبيّنت الإنسُ أَنْ لَو كان الجنّ يَعلَمُونَ الغيبَ - يعنى: غيب موت سليمان - ما لبثوا حولاً في العذابِ المهينِ»[8]، وهو قول الفرّاء، والطّبريّ، وأبي حيّان، وتلميذه السّمين الحلبيّ أيضاً، والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني القرآن (٤٠٥/٥).
(٢) المحرّر الوجيز (٤٧٧/٤).
(٣) البحر المحيط (٥٣٢/٨).
(٤) الدّرّ المصون (١٦٨/٩).
(٥) تقدّمت ترجمته.
(٦) تقدّمت ترجمته.
(٧) الدّرّ المصون (١٦٨/٩).
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٨/٣).

المبحث الثّالث
توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً وحذف المفعول

وهو على أقسام:

القسم الأوّل: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]:

قرأَ الجماعة[١]: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالنّصب، وتوجيهها معلوم من حيث بيان الفاعل والمفعول، وتفسيرها أنّ الله جَلَّوَعَلَا لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنّصارى وغيرهم، وذكر مآل مَن يتولّاهم أنّه الخسران المبين، أخبر تعالى مَن يجب ويتعيّن تولّيه، وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، فولاية الله تدرك بالإيمان والتّقوى، فكلّ من كان مؤمناً تقيّاً كان لله وليّاً، ومَن كان وليّاً لله فهو وليٌّ لرسوله، ومَن تولّ اللهَ ورسولَه، كان تمام ذلك تولي مَن تولّاه، وهم المؤمنون الّذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصّلاة بشروطها وفروضها ومكمّلاتها، وأحسنوا للخلق، وآتوا الزّكاة من أموالهم لمستحقّيها منهم[٢].

وقرئ: «وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ» بالرّفع، على أن يكون «ٱللَّهُ» فاعلاً، والمفعول محذوف تقديره: يتولّه اللهُ، ولم أقف على هذه القراءة، ولا على توجيهها في كتب التّفسير واللّغة إلّا ما ذكره أبو البقاء العُكْبَريّ في كتابه (إعراب القراءات الشّواذ)، إذ قال: «قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالنّصب على أنّه المفعول، ويُقرأُ بالرّفع على أنّه الفاعل، والتّقدير: يتولّه الله»[٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٣٢/٨)، وبحر العلوم (٤٠٠/١)، والكشف والبيان (٨١/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٢٧/١٠)، والهداية إلى بلوغ النّهاية (١٧٨٧/٣)، ومعالم التّنزيل (٦٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٨٧/١٢).

(٣) إعراب القراءات الشّواذ (٤٤٥/١).

والّذي أراه - والله تعالى أعلم - أنّ مقام الآيات قبل هذه الآية يوجب قراءة النّصب، فقد ذكر اللهُ تعالى في الآية الحادية والخمسين من السّورة نفسها، قولَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فهذه تتناسب مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، ثمّ ذكر في الآية الّتي بعدها - السّابعة والخمسين - قولَه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، قال البيضاويُّ: «لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه مَن هو حقيق بها، وإنّما قال: ﴿وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾، وَلم يقل: أولياؤكم؛ للتّنبيه على أنّ الولاية لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على الأصالة، ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وللمؤمنين على التّبع»[(١)]، فمن فوّض أمرَه إلى الله، وامتثل أمرَ رسوله، ووالَى المسلمين، فهو من حزب الله[(٢)]، والله تعالى أعلم.

القسم الثّاني: قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

قرأَ الجماعة[(٣)]: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، بنصب (ربَّ) مفعولاً به، والفاعل ضمير مستتر يعود على (أيّوب) عليه وعلى نبيّنا السّلامُ، والمعنى: واذكر يا محمّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أيّوبَ حين نادى ربَّه، وقد مسّه الضّرُّ والبلاءُ[(٤)]، أو ناداه بأنّي مسّني الضُّرُّ[(٥)].

ومن العلماء من ذكر أنّ ﴿نَادَىٰ﴾ في الآية، بمعنى: دعا[(٦)]، أي: وأيّوبَ إذ دعا ربَّه أنّي مسّني الضُّرُّ، وعلى القولين فإنّ (أيّوب) هو الّذي نادى أو دعا ربَّه.

(١) أنوار التنزيل (١٣٢/٢).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢/٦).
(٣) ينظر: جامع البيان (٣٧٥/١٨)، ومختصر ابن خالويه (٩٢)، وبحر العلوم (٤٣٥/٢)، والكشّاف (١٣١/٣)، وزاد المسير (٢٠٤/٣).
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (٤٧٩٣/٧)، ولطائف الإشارات (٥١٤/٢).
(٥) ينظر: الكشّاف (١٣١/٣).
(٦) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٤٧/٣)، وتفسير القرآن للسّمعاني (٣٩٨/٣)، ومعالم التنزيل (٣٠٣/٣)، ومدارك التنزيل (٤١٦/٢).

وقد ذكر أبو الحسن الماورديُّ أنّ دعاءه ونداءه لربِّه كان وهو ساجد، إذ قال: «فخرّ ساجداً وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾»[1]. وهذا يقوّي ما ذهب إليه العلماء من أنّ أيّوب هو الّذي دعا ونادى ربّه.

وقرأ أُبيُّ بن كعب[2]: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، برفع (ربُّ)[3]، على أنّه فاعل، والمفعول محذوف يعود على (أيّوب)، وتقدير الكلام: وأيّوبَ إذ ناداه ربُّه، كما في قراءة: «وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهُ» برفع لفظ الجلالة، والتّقدير: ومن يتولَّه اللهُ، وقد جاء اسم الله مرفوعاً بعد الفعل ﴿نَادَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥، ١٦].

وقد ذكر ابن جرير الطّبريّ أنّ أيّوب لما مسّه الشّيطانُ بنصْبٍ وعذابٍ، أنساه اللهُ الدُّعاء أن يدعوه فيكشف ما به من ضرّ، غير أنّه كان يذكر الله كثيراً، ولا يزيده البلاءُ في اللهِ إلّا رغبةً وحسنَ إيمان، فلمّا انتهى الأجلُ، وقضى اللهُ أنّه كاشف ما به من ضرّ أَذِنَ له في الدّعاء، ويسّره له[4]؛ فعلى هذه الرّواية يكون الإذن بالدّعاء من الله، فكأنّ اللهَ تعالى نادى أيّوب - بعد أن أذن له - أن يدعوه بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، واللهُ تعالى أعلم.

والّذي أراه أنّ توجيه هذه القراءة يحتاج إلى تقديرات متكلّفة لا تتناسب مع سياق الآية الّتي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ الّتي أكّدت أنّ الدّعاء لنبيّ اللهِ أيّوبَ - عليه وعلى نبيِّنا السّلامُ - أضف إلى ذلك أنّ القراءة برفع ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ هي قراءة شاذّة، والله تعالى أعلم.

---

(١) النّكت والعيون (٣/٤٦٢).

(٢) هو أُبي بن كعب بن قيس بن النّجّار، أبو المنذر الأنصاريّ المدنيّ الصّحابيّ، توفّي في سنة (٢١هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (١/٣١٠).

(٣) ينظر: مختصر ابن خالويه (٩٢).

(٤) جامع البيان (١٨/٥٠٥).

القسم الثالث: قول الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]:

قرأ الجمهور[١]: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾، الفعل مبنيّ للفاعل، ونصب ﴿يَوۡمَ﴾.

واختلف العلماء في توجيه الفاعل في ﴿لِيُنذِرَ﴾، وتوجيه ﴿يَوۡمَ﴾، أمّا توجيه الفاعل فعلى قولين[٢]:

القول الأوّل: إنّ الفاعل هو ضمير مستتر في الفعل ﴿لِيُنذِرَ﴾ يعود على الله تعالى، وهو قول أبي إسحاق الزّجّاج، في أحد قوليه، إلّا أنّه جعله مرجوحاً لا راجحاً، إذ قال: «ويجوز أن يكون لينذر اللهُ يومَ التّلاق»[٣]. وتبعه أبو جعفر النّحّاس[٤] أيضاً، واختاره أبو حيّان الأندلسيّ، إذ قال: «والظّاهرُ أنّ الفاعلُ يعود على الله؛ لأنّه هو المحدَّثُ عنه»[٥]، وتبعه السّمينُ الحلبيّ[٦]، وأبو السّعود[٧].

القول الثّاني: إنّ الفاعل هو الضّمير المستتر في الفعل ﴿لِيُنذِرَ﴾ يعود على النّبيّ ﷺ وهو المختار عند أبي إسحاق الزّجّاج، إذ قال بعد ذكر القولين: «والأجود - والله أعلم - أن يكون: لينذرَ النّبيُّ ﷺ، والدّليل على ذلك أنّه قُرِئ: (لِتُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ)، بالتّاء»[٨]، وتبعه أبو جعفر النّحّاس[٩]. وقيل: إنّ الفاعل في القراءة الأولى ضمير الرُّوح، وقيل: ضمير (مَنْ)[١٠].

---

(١) ينظر: السّبعة في القراءات (٥٦٨)، ومعاني القراءات (٣٤٣/٢)، والمبسوط في القراءات (٣٨٩)، والكامل في القراءات (٦٢٦)، والمحرّر الوجيز (٦١٧/٤)، والبحر المحيط (٢٤٤/٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٦٩/٤)، وإعراب القرآن للنّحّاس (٢٨/٤)، ومعاني القرآن للنّحّاس (٢٠٩/٦)، والبحر المحيط (٢٤٤/٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣٦٩/٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٢٠٩/٦).

(٥) البحر المحيط (٢٤٤/٩).

(٦) ينظر: الدّرّ المصون (٤٦٣/٩).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السّليم (٢٧١/٧).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣٦٩/٤).

(٩) إعراب القرآن (٢٨/٤)، ومعاني القرآن (٢٠٩/٦).

(١٠) ينظر: المحرّر الوجيز (٦١٧/٤)، والبحر المحيط (٢٤٤/٩)، والدّرّ المصون (٤٦٣/٩).

وأمّا توجيه ﴿يَوْمَ﴾ على هذه القراءة فعلى قولين أيضاً[1]:

القول الأوّل: إنّه ظرف، والمنذَرُ به محذوف، تقديره: لينذر بالعذاب يومَ التّلاق[2]، أو ظرف للمفعول الثّاني المحذوف، وتقديره: لينذر اللهُ أو النّبيُّ الناسَ العذابَ يومَ التّلاقِ[3].

والقول الثّاني: إنّه مفعول به على المجاز واتّساعاً في الظّرف[4]، أو على الأصالة؛ فمن شدّةِ هولِ وفظاعة يوم القيامة يكون حقيقاً بالإنذارِ أصالةً[5].

وقرئ[6]: «لِيُنذِرَ يَوْمُ ٱلتَّلَاقِ»، ببناء الفعل للمعلوم، ورفع «يَوْمُ»، على أنّه فاعل، نسبها ابن عطيّة[7]، وأبو حيّان[8]، والسّمين الحلبيّ[9]، إلى أُبيّ بن كعب[10]، وجماعة، ووجّهوا الرّفع في «يَوْمُ» على الفاعليّة مجازاً، أي: ليُنذِرَ النّاسَ العذابَ يومُ التّلاق[11].

والّذي أراه أنّ ما ذكره أبو حيّان والسّمين الحلبيّ، في توجيه هذه القراءة فيه تكلّف وبعد عن المعنى الّذي جاءت به الآية، وأمّا ما ذكره العلماء من توجيهٍ للقراءة الأولى، فالّذي أراه أنّ ﴿يَوْمَ﴾ بالنّصب ظرفٌ وليست مفعولاً به؛ لما فيه من تكلّف في التّقدير أيضاً؛ ولأنّ المعنى على الظّرف مناسب لما ذكَرته الآية من تهويل لهذا اليوم وهو يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٩/٢٤٤)، والدّرّ المصون (٩/٤٦٣)، وإرشاد العقل السّليم (٧/٢٧١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/٢٤٤)، والدّرّ المصون (٩/٤٦٣).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السّليم (٧/٢٧١).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٩/٢٤٤)، والدّرّ المصون (٩/٤٦٣).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السّليم (٧/٢٧١).

(٦) ينظر: المحرّر الوجيز (٤/٦١٧)، والبحر المحيط (٩/٢٤٤)، والدّرّ المصون (٩/٤٦٣)، وإرشاد العقل السّليم (٧/٢٧٦).

(٧) ينظر: المحرّر الوجيز (٤/٦١٧).

(٨) ينظر: البحر المحيط (٩/٢٤٤).

(٩) ينظر: الدُّرّ المصون (٩/٤٦٣).

(١٠) تقدّمت ترجمته.

(١١) ينظر: البحر المحيط (٩/٢٤٤)، والدُّرّ المصون (٩/٤٦٣).

القسم الرابع: قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]:

قرأَ الجمهور[١]: ﴿**كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾، بنصب ﴿أنفسَكم﴾، بإضافة المصدر إلى الفاعل، و﴿أنفسَكم﴾ مفعول به للمصدر، وهو قول الفرّاء، إذ قال: «وقوله: ﴿**كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾، نصبتَ الأنفس؛ لأنّ تأويل الكاف والميم فِي (خِيفَتِكُم) مرفوع»[٢]، وبه قال أبو حيّان أيضاً، إذ قال: «وقرأ الجمهور: ﴿أنفسَكم﴾ بالنّصب، أضيف المصدرُ إلى الفاعلِ»[٣].

وعلى هذا التّوجيه يكون المعنى: تخافون أن يُشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخافُ الحرُّ شريكَه الحرَّ في المال يكون بينهما أن ينفردَ فيه بأمرٍ دونه، وكما يخافُ الرّجلُ شريكَه في الميراثِ، وهو يحبّ أن ينفرد به.

وقرأَ ابن أبي عَبْلة[٤]: «**كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسُكُمْ**» بالرّفع[٥]، بإضافة المصدر إلى مفعوله، وفي توجيهه قولان[٦]:

القول الأوّل: إنّه فاعل مرفوع بالمصدر (خيفتكم)، قال أبو البقاء العُكْبَريُّ: «وهو مرفوع بـ (خيفتكم)، أي: كما تخافكم أنفُسكم، أي: يخاف بعضُكم بعضاً»[٧].

(١) ينظر: المحرّر الوجيز (٣٨٩/٤)، وإعراب القراءات الشّواذ (٢٨٣/٢)، والبحر المحيط (٣٨٨/٨)، والدّرّ المصون (٤٣/٩).
(٢) معاني القرآن (٣٢٤/٢).
(٣) البحر المحيط (٣٨٨/٨).
(٤) هو إبراهيم بن أبي عبلة، واسمه: شمر بن يقظان بن المرتحل، أبو إسماعيل، وقيل: أبو إسحاق، وقيل: أبو سعيد الشّامي الدّمشقيّ، ويقال: الرّمليّ، ويقال: المقدسيّ، ثقة، كبير، تابعيّ، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامّة، توفّي في سنة (١٥١هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (١٩/١).
(٥) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٢٤/٢)، وإعراب القرآن للنّحّاس (٢٧١/٣)، وإعراب القراءات الشّواذ (٢٨٣/٢).
(٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٣٢٤/٢)، وإعراب القرآن للنّحّاس (٢٧١/٣)، وإعراب القراءات الشّواذ (٢٨٣/٢).
(٧) إعراب القراءات الشّواذ (٢٨٣/٢).

واستقبح بعضُهم هذا القولَ إذا وُجِد الفاعلُ[1]، ولم يرَ أبو حيّان الأندلسيّ قبحاً فيه، بل جعلهما وجهين حسنين، إذ قال: «وهما وجهان حسنانِ، ولا قبحَ في إضافة المصدرِ إلى المفعول مع وجود الفاعل»[2].

وهو قول الفرّاء، إذ قال: «وقوله: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ نصبتَ الأنفس؛ لأنّ تأويل الكاف والميم في (خِيفَتِكُم) مرفوع، ولو نويت به - بالكاف والميم - أن يكون في تأويل نصب رفعت ما بعدها، تَقُولُ في الكلام: عجبتُ من موافقتك كثرة شرب الماء، وعجبتُ من اشترائك عبداً لا تَحتاج إليه»[3]، وتبعه أبو جعفر النّحّاس[4].

القول الثّاني: إنّه توكيدٌ للضّمير في ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾، جوّزه أبو البقاء العُكْبَريّ، إذ قال: «ويجوز أن يكون توكيداً للضّمير في ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾»[5].

والّذي أراه أنّ المسألة فيها سعة ما دامت توافق القواعد العربيّة، من حيث إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، وقد صرّح علماء العربيّة بذلك؛ فلا إشكال فيه، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الدّرّ المصون (٤٣/٩).
(٢) البحر المحيط (٣٨٨/٨).
(٣) معاني القرآن (٣٢٤/٢).
(٤) إعراب القرآن (٢٧١/٣).
(٥) إعراب القراءات الشّواذ (٢٨٣/٢).

المبحث الرّابع

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: توجيه ما قرئ بجعل ما ناب عن الفاعل مفعولاً:

قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الفرقان: ٣٢]:

قرأ الجماعة[١]: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، ببناء الفعل للمفعول، و﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: نائب فاعل، و﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلّق بـ ﴿نُزِّلَ﴾.

وقرئ[٢]: «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانَ» بنصب «ٱلْقُرْءَانَ» مفعولاً به، و﴿عَلَيۡهِ﴾: نائب فاعل.

والمسألة فيها خلاف، فمذهب البصريّين[٣] إلّا الأخفش، أنّه إذا وجد بعد الفعل المبنيّ لما لم يسمّ فاعله مفعولٌ به ومصدرٌ وظرف وجار ومجرور، تعيّن إقامة المفعول به مقام الفاعل، ولا يجوز إقامة غيره مقامه مع وجوده، وما ورد من ذلك فشاذّ أو مؤوّل، ومذهب الكوفيّين أنّه يجوز إقامة غيره وهو موجود - تقدّم أو تأخّر - فتقول: ضُرِبَ ضربٌ شديدٌ زيداً، وضُرِبَ زيداً ضربٌ شديدٌ، وكذلك في الباقي، واستدلوا بقراءة أبي جعفر[٤]: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] بنصب ﴿قَوۡمَۢا﴾[٥].

وبه قال ابن مالك، إذ قال: «وأجاز الأخفش والكوفيّون نيابة غير المفعول به مع وجوده، وبقولهم أقول، إذ لا مانع من ذلك مع أنّه وارد عن العرب، ومنه قراءة أبي جعفر: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾، فأقام الجار والمجرور مقام الفاعل وترك ﴿قَوۡمَۢا﴾ منصوباً وهو مفعول به»[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٦٥/١٩)، وبحر العلوم (٥٣٧/٢)، والكشف والبيان (١٢٨/٧)، والمحرّر الوجيز (٢٠٩/٤).

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الكافية (٢١٩/١).

(٣) ينظر: التّبيين عن مذاهب النّحويين (٢٧١).

(٤) تقدّمت ترجمته.

(٥) تنظر القراءةُ في: معاني القرآن للفرّاء (٤٦/٣)، والمبسوط في القراءات (٤٠٣)، والكشّاف (١١٤/٣).

(٦) شرح تسهيل الفوائد (١٢٨/٢).

ولم أقف على توضيح لقراءة نصب «ٱلْقُرْءَانَ» - في قوله تعالى: «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانَ»، إلّا ما ذكره الرّضيّ، إذ قال: «وإذا وجد المفعول به تعيّن له - أي: للقيام مقام الفاعل - وذلك لكون طلب الفعل للمفعول به بعد الفاعل أشدّ منه لسائر المنصوبات، هذا مذهب البصريّين، وأمّا الكوفيّون - ووافقهم بعض المتأخّرين - فذهبوا إلى أنّ قيام المفعول به المجرور مقام الفاعل أولى، لا أنّه واجب، استدلالاً بالقراءة الشّاذة: «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانَ» بالنّصب»[1].

والّذي أراه أنّ الخلافَ في هذه المسألة مبنيٌّ على قراءة شاذّة، والّذي قال به العلماء، مؤوّل على الشّذوذ، وميدانه الشّعر، وكلام العرب، أمّا كلام الله فهو منزّه عن التّوجيهات الشّاذة، والضّعيفة، والنّادرة، والله تعالى أعلم.

المطلب الثّاني: توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً وحذف المفعول:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]:

قرأ الجمهور[2]: ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ بنصب ﴿ٱلدِّينَ﴾ وعلى هذه القراءة فـ ﴿ٱلدِّينَ﴾ مفعول به منصوب باسم الفاعل (مُخلِص)[3]. قال أبو زكريّا الفرّاء: «منصوبٌ بوقوع الإخلاص عليه»[4].

وعلى هذا التّوجيه يكون المعنى: بما حقّ في الكتب من إنزاله عليك، ويجوز أن يكون المعنى: ألزمك إيّاه بحقّه عليك، وعلى خلقه[5].

---

(١) شرح الرّضي على الكافية (٢١٩/١).
(٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٤١٤/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٣٤٣/٤)، ومعاني القرآن للنّحّاس (١٤٦/٦)، والكشّاف (١١٢/٤)، وأنوار التّنزيل (١٦٨/٣)، والبحر المحيط (١٨٢/٩).
(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٤٣/٤)، ومعاني القرآن للنّحّاس (١٤٦/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٥)، والتّبيان في إعراب القرآن (١١٠٨/٢).
(٤) معاني القرآن للفرّاء (٤١٤/٢).
(٥) ينظر: معاني القرآن للنّحّاس (١٤٦/٦).

وقرئ[1]: «مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينُ» برفع «ٱلدِّينُ»، نسبها أبو حيّان الأندلسيّ[2]، والسّمين الحلبيّ[3] إلى ابن أبي عبلة[4].

واختلف العلماء في هذه القراءة على قسمين[5]:

القسم الأوّل: وهم الّذين جوّزوا القراءة وأوّلوها، ومن هؤلاء أبو زكريّا الفرّاء، إذ قال: «ولو رفعت «ٱلدِّينُ» بـ ﴿لَّهُ﴾، وجعلت الإخلاص مُكتفياً غير واقع، كأنّك قلت: اعبدِ اللهَ مُطيعاً فَلَه الدّين»[6]، وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ[7]، وأبو حيّان الأندلسيّ[8]، والسّمين الحلبيّ[9].

القسم الثّاني: وهم الّذين لم يجوِّزوها ألبتّة، وخطّأوا من جوّزها، ومن هؤلاء أبو إسحاق الزّجّاج، الّذي ردّ على قول الفرّاء، إذ قال: «وزعم بعض النّحويّين أنّه يجوز: «مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينُ»، وقال: يرفع «ٱلدِّينُ» على قولك: «مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينُ»، ويكون ﴿مُخْلِصًا﴾ تمام الكلام، ويكون «لَّهُ ٱلدِّينُ» ابتداء، وهذا لا يجوز من جهتين:

إحداهما: أنّه لم يقرأ به.

والأخرى: أنّه يفسده ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، فيكون «لَّهُ ٱلدِّينُ» مكرّراً في الكلام، لا يحتاج إليه، وإنّما الفائدة في ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، تحسّن بقوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾»[10].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٤١٤/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٣٤٣/٤)، ومعاني القرآن للنّحّاس (١٤٦/٦)، والكشّاف (١١٢/٤)، وأنوار التّنزيل (١٦٨/٣)، والبحر المحيط (١٨٢/٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٨٢/٩).

(٣) ينظر: الدّرّ المصون (٤٠٦/٩).

(٤) تقدّمت ترجمته.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفرّاء (٤١٤/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٤٣/٤)، والتّبيان في إعراب القرآن (١١٠٨/٢).

(٦) معاني القرآن (٤١٤/٢).

(٧) ينظر: التّبيان في إعراب القرآن (١١٠٨/٢).

(٨) ينظر: البحر المحيط (١٨٢/٩).

(٩) ينظر: الدّرّ المصون (٤٠٦/٩).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٣٤٣/٤).

وتبعه أبو جعفر النّحّاسُ - أيضاً - الّذي خطّأ الفرّاءَ فيما ذهب إليه، إذ قال: «وحكى الفرّاء «لَّهُ ٱلدِّينُ» برفع «ٱلدِّينُ»، وهو خطأ من ثلاث جهات:

إحداها: أنّ بعده ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾، فهو يغني عن هذا، وأيضاً لم يقرأ به، وأيضاً فإنّه يجعل ﴿مُخۡلِصًا﴾ التّمام، والتّمام عند رأس الآية أولى»(١).

وتبعه الزّمخشريّ أيضاً، الّذي أيّد ما ذهب إليه أبو جعفر النّحّاس، إذ قال: «وأمّا من جعل ﴿مُخۡلِصًا﴾ حالاً من العابد، و«لَّهُ ٱلدِّينُ» مبتدأ وخبراً، فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك: ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ﴾»(٢). وتبعه أبو البركات النّسفيّ(٣).

واختلف القسم الأوّل - الّذين وجّهوا الآية وأوّلوها - في توجيه قراءة رفع ﴿ٱلدِّينُ﴾ على قولين:

أحدُهما: أنَّه مرفوعٌ بالفاعلية رافعه ﴿مُخۡلِصًا﴾، وهو قول أبي حيّان، إذ قال: «بالرّفع فاعلاً بـ ﴿مُخۡلِصًا﴾، والرّاجع لذي الحال محذوفٌ على رأي البصريّين، أي: الدِّينُ منكَ، أو يكون (أَلْ) عوضاً من الضّمير، أي: دينُكَ»(٤).

وعلى قول أبي حيّان لابدَّ من تجوّزٍ وإضمارٍ، أمّا التّجوّزُ فإسنادُ الإخلاصِ لـ ﴿ٱلدِّينُ﴾ وهو لصاحبِه في الحقيقة، ونظيرُه قولُهم: شعرٌ شاعرٌ، وأمّا الإضمارُ فهو إضمارٌ عائدٌ على ذي الحالِ أي: مُخلصاً له الدّينُ منك، وهذا رأي البصريّين في مثل هذا، وأمّا الكوفيّون فيجوزُ أنْ يكونَ عندهم (أل) عوضاً من الضّمير، أي: مُخلصاً دينك(٥).

---

(١) معاني القرآن (١٤٦/٦).
(٢) الكشّاف (١١٢/٤).
(٣) ينظر: مدارك التّنزيل (١٦٨/٣).
(٤) البحر المحيط (١٨٢/٩).
(٥) ينظر: الدّرّ المصون (٤٠٦/٩).

والثّاني: أنْ يتمّ الكلامُ على ﴿مُخۡلِصٗا﴾ وهو حالٌ من الفاعلِ في ﴿فَٱعۡبُدِ﴾، و«**لَّهُ ٱلدِّينُ**» مبتدأٌ وخبرٌ، وهو قولُ الفرّاء[1]، وتبعه أبو البقاء العُكْبَريّ[2].

وبعد ذكر الأقوال في قبول هذه القراءة، أو ردِّها، وما قيل في توجيهاتها، أرى أنّ ما ذكره الزّجّاج، وأبو جعفر النّحّاس، والزّمخشريّ، وغيرهم - ممّن ردّوا هذه القراءة وتوجيهها - هو الرّاجح عندي، لما ذكروه من أسباب، أضف إلى ذلك أنّ معنى الآية يتطلّب نصب ﴿ٱلدِّينَ﴾، والرّفع يبعده، والتّوجيه يتطلّب النّظر إلى المعنى قبل النّظر إلى الصّناعة النّحويّة، والله تعالى أعلم.

المطلب الثّالث: وفيه مسألتان:

المسألة الأُولى: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الأوّل المنصوب مرفوعاً:

قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩]:

قرأَ الجمهور[3]: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، بنصب ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾، وعلى هذه القراءة فـ ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ المفعول الأَوّل لـ (جعل)، و﴿مِنۡهُ﴾ في موضع المفعول الثّاني.

وقرئ[4]: (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَانِ)، برفع (الزّوجان)، نسبها أبو حيّان الأندلسيّ إلى زيد بن علي[5]، وخرّجها على لغة بني الحارث الّذين يرفعون المثنّى مطلقاً، إذ قال: «وفي قراءة زيد بن عليّ: (الزَّوجان) بالألف، وكأنّه على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنّى بالألف في جميع أحواله»[6]، وتبعه السّمين الحلبيّ[7].

---

(١) ينظر: معاني القرآن (٤١٤/٢).
(٢) ينظر: إعراب القراءات الشّواذ (٤٠٥/٢).
(٣) ينظر: البحر المحيط (٣٥٤/١٠)، والدّرّ المصون (٥٨٥/١٠)، وروح المعاني (١٦٥/١٥).
(٤) ينظر: البحر المحيط (٣٥٤/١٠)، والدّرّ المصون (٥٨٥/١٠)، وروح المعاني (١٦٥/١٥).
(٥) تقدّمت ترجمته.
(٦) البحر المحيط (٣٥٤/١٠).
(٧) ينظر: الدّرّ المصون (٥٨٥/١٠).

وظهر لي توجيه آخر، وهو أن تحمل القراءة على تضمين الفعل (جعل) معنى: صار، وهذا ما وقفت عليه في كلام ابن جرير الطّبريّ، إذ قال في تفسير الآية: «أليس الّذي فعل ذلك، فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثمّ علقة، حتّى صيّره إنساناً سويّاً، له أولاد ذكور وإناث»[1]، وهو قول ابن كثير أيضاً، إذ قال: «فصار خلقاً آخر سويّاً سليم الأعضاء، ذكراً، أو أنثى بإذن الله وتقديره، ولهذا قال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾»[2]، فيكون التّقدير - والله أعلم -: فصار منه الزّوجان، وحينئذٍ يكون توجيه نصب: الذكرَ، على أنّه مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني، والله تعالى أعلم.

المسألة الثّانية: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الثّاني المنصوب مرفوعاً:

قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]:

قرأ الجمهور[3]: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً﴾، بتنوين النّصب في ﴿كَلِمَةَۢ﴾، و﴿بَاقِيَةً﴾، كون ﴿كَلِمَةَۢ﴾ مفعولاً به ثانياً للفعل (جعل)، والضّمير المتّصل المنصوب مفعولاً به أوّل، واختلفوا في الضّمير المستتر المرفوع على ما يعود؟ وفيه قولان[4]:

أحدهما: أنّه يعود على الله تعالى، وهو قول أبي جعفر النّحّاس، إذ قال: «والفاعل المضمر في (جعلها) يجوز أن يكون عائداً على قوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧]، أي: وجعلها اللهُ تعالى كلمةً باقيةً في عقبه، وأهل التّفسير على هذا»[5]، وتبعه مكّي القيسيّ[6]، والقرطبيُّ[7].

---

(١) جامع البيان (٢٤/٨٣).
(٢) تفسير القرآن لابن كثير (٨/٢٨٣).
(٣) ينظر: إعراب القرآن للنّحّاس (٤/١٠٦)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (١٠/٦٦٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٧٧).
(٤) ينظر: إعراب القرآن للنّحّاس (٤/١٠٦)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (١٠/٦٦٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٧٧).
(٥) إعراب القرآن (٤/١٠٦).
(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (١٠/٦٦٥٠).
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/٧٧).

والقول الآخر: إنّه يعود على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو قول الزّمخشريّ، إذ قال: «﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيمُ - صلوات الله عليه - كلمةَ التّوحيد الّتي تكلّم بها، وهي قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] كَلِمَةً بَاقِيَةً في عقبهِ»(١)، وتبعه الرّازي(٢)، وأبو البركات النّسفيّ(٣)، ورجّحه أبو القاسم بن جزّيّ على القول الأوّل، إذ قال: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ ضمير الفاعل في (جعلها) يعود على (إبراهيم) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل على الله تعالى، والأَوّلُ أظهر»(٤)، ورجّحه أبو حيّان الأندلسيّ أيضاً(٥)، وكذلك السّمين الحلبيّ(٦).

والّذي أراه أنّ كلا القولين تحتمله الآية، والله تعالى أعلم.

وقرئ(٧): «**وَجَعَلَهَا كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ**» بتنوين الرّفع للّفظتين، نسبها ابنُ خالويه لحُميد ابن قيس(٨)، ولم أقف على توجيهٍ لهذه القراءة، ولا يحتمل الفاعليّة؛ إذ لا يعطي معنًى واضحاً فيه، وقد يحتمل أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، وتقدير الكلام: هي كلمةٌ باقيةٌ، وهذا بعيد أيضاً، لكنّه قد يكون أقرب إلى أحد وجوه العربيّة.

والّذي أراه أنّ هذه القراءةَ لا تتناسب مع المعنى المراد من الآية، ولم يذكرها عالمٌ إلّا ابن خالويه؛ لذا لا يحقّ أن نجعلها أصلاً لتقعيد القواعد النّحويّة، والله تعالى أعلم.

---

(١) الكشّاف (٤/٢٥٠).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/٦٢٩).
(٣) ينظر: تفسير النسفي (٤/٩٥).
(٤) التّسهيل لعلوم التّنزيل (٦/١٣٣).
(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/٣٦٨).
(٦) ينظر: الدّرّ المصون (٩/٥٨٣).
(٧) ينظر: مختصر ابن خالويه (١٣٥).
(٨) هو حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكّي القارئ، ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر، وعرض عليه ثلاث مرات، روى القراءة عنه سفيان بن عيينة، وأبو عمرو بن العلاء، وإبراهيم بن يحيى بن أبي حيّة، وجنيد بن عمرو العدواني، وعبد الوارث بن سعيد، توفّي في سنة (١٣٠هـ). تنظر ترجمته في: غاية النّهاية (١/٢٦٥).

نتائج البحث

الحمدُ لله وكفى، والصّلاةُ والسّلام على نبيّه المصطفى، وعلى آله وأصحابه المستكملين الشّرفا، أمّا بعد:

فبعد البحث والدّراسة في بحثي الموسوم بـ«النّقول في توجيه القراءة بين الفاعل والمفعول»، وقفت على مجموعة من النّتائج الّتي أراها جديرة بالذّكر، وخلاصةً لهذه الدّراسة، وهي:

١. جمع الباحثُ ما تناثر من قراءات قرآنيّة تحوّل فيها الفاعلُ إلى مفعول، ولم يدّخر جهداً في جمع ما قيل فيها من آراء وتوجيهات.

٢. بيّنت الدّراسة أنّ القراءات الّتي قُرئ فيها الفاعل مفعولاً، والعكس كذلك، الغالب فيها قراءات شاذّة، أمّا القراءات المتواترة والمشهورة فقليلة جدّاً، كان مجموعها ثلاث قراءات فقط.

٣. بيّنت الدّراسة أنّ الكثير من القراءات الّتي جمعها البحث منسوبةٌ إلى قرّائها، والقليل منها مجهولة القارئ، والأقلّ منها اختُلِفَ في نسبتها.

٤. الكثير من القراءات الّتي ذكرها الباحث قراءات تفسيريّة، تقوّي معنى القراءة المشهورة؛ لذا بيّنت الدّراسة أنّ هناك قسماً من العلماء من فسّر القراءة المشهورة أو قراءة الجمهور على معنًى قريب من القراءة الشّاذة.

٥. وقف الباحث موقف المدافع عن قسم من القراءات الّتي ردّها بعض العلماء، ولا سيّما القراءات المشهورة، وردّ مَن وصف قارئها بالخطأ، أو الضّعف، أو السّهو.

٦. حاول الباحثُ أن يوجّه قسماً من القراءات توجيهاً يراه مناسباً لما قرئ به، ولاسيّما القراءات الّتي انعدمت التّوجيهات فيها.

٧. بيّنت الدّراسة أنّ القراءات القرآنيّة حمّالة أوجه، وأنّ اللغة العربيّة ليست لغة جامدة، بل لغة تتّصف بالشّمول والتّجدّد، وما ذكره العلماء من توجيهات لهذه القراءات دليل على صحّة ذلك.

فهرست القراءات القرآنيّة وقرّائها

قراءة المصحف	القراءة الأخرى	القارئ
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]	«فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٌ»	ابن كثير
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]	«وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ»	ابن عباس، وأبو الشعثاء، وأبو حنيفة، وأبو حَيْوَة.
﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]	«لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمُونَ»	أبو رجاء، وقتادة، والأعمش، وطلحة بن مصرِّف.
﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]	«إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ ٱلْمَوْتَ»	مجهول.
﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]	«يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَينِ»	مجهول.
﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]	﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهَ﴾	أبو جعفر يزيد بن القعقاع.
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]	«وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً»	إبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب.
﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٦]	«وَمَن يَتَوَلَّ ٱللهُ وَرَسُولَهُ»	مجهول.
﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]	«هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقَهُمْ»	مجهول.
﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]	﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	حمزة، والكسائي، وأبو بكر.
﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]	«وَتَغْشَى وُجُوهُهُمُ ٱلنَّارَ»	ابن مسعود
﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]	«وَلَا تَعْدُ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ»	مجهول.
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣]	«وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ»	أُبي بن كعب.
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧]	«لَن يَنَالَ ٱللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآءَهَا»	زيد بن علي.
﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]	«لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً»	مجهول.
﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]	«تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسُكُمْ»	ابن أبي عبلة.
﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ [سبأ: ١٤]	«فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنَّ»	مجهول.
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠]	«وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ»	زيد بن علي، والزهري، وجعفر بن محمد.
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فاطر: ٢٨]	«إِنَّمَا يَخْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءَ»	عمر بن عبد العزيز، وأبو حنيفة، وأبو حَيْوة.
﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]	«فَٱعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينُ»	ابن أبي عبلة.
﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]	«لِيُنذِرَ يَوْمُ ٱلتَّلَاقِ»	أُبي بن كعب.
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ [الزخرف: ٢٨]	«وَجَعَلَهَا كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ»	حُميد بن قيس.
﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ [القيامة: ٣٩]	«فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَانِ»	زيد بن علي.
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]	«وَوَجَدَكَ ضَالٌّ فَهَدَىٰ»	الحسن البصري.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السّعود العماديّ، محمّد بن محمّد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، (د. ت).
- **الأُصول في النحو**: أبو بكر محمّد بن سهل بن السّراج النّحوي البغداديّ (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ، مؤسسة الرّسالة، الطبعة الثانية (١٩٨٧م).
- **إعراب القراءات السّبع وعللها**: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٩٢م).
- **إعراب القرآن**: أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العانيّ، بغداد (١٩٧٧م).
- **أمالي ابن الشّجريّ**: أبو السعادات ضياء الدّين المعروف بابن الشّجري (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد الطّناحي، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة (٢٠٠٦م).
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين**: أبو البركات عبد الرّحمن ابن محمّد بن أبي سعيد الأنباريّ (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، الطبعة الأولى، المكتبة التّجارية الكبرى، مصر (١٩٦١م).
- **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل المعروف بـ «تفسير البيضاوي»**: أبو سعيد، ناصر الدّين عبد الله بن عمر الشّيرازيّ (ت: ٦٨٥هـ) المكتبة الإسلاميّة، (د. ت).
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**: أبو القاسم، نجم الدّين محمود بن أبي الحسن بن الحسين النّيسابوريّ (ت: ٥٥٠هـ) تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسميّ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت (١٤١٥هـ).
- **الإيضاح في القراءات**: أَحمد بن أبي عمر الأندرابيّ (ت بعد: ٥٠٠هـ)، تحقيق: منى عدنان غني، كليّة التّربية للبنات، جامعة تكريت، بإشراف د. غانم قدُّوري الحمد (٢٠٠٢م).
- **بحر العلوم**: أبو اللّيث، نصر بن محمّد بن إبراهيم السّمرقنديّ (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

- **البحر المحيط في التّفسير**: أبو حيّان محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدّين الأندلسيّ (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت (١٤٢٠هـ).
- **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان (١٩٨٨م).
- **البيان في غريب إعراب القرآن**: أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباريّ (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السّقا، دار الكتاب العربي، القاهرة (١٩٦٩م).
- **تأويلات أهل السّنّة «تفسير الماتريديّ»**: أبو منصور محمّد بن محمّد بن محمود، الماتريديّ (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلّوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان (٢٠٠٥م).
- **التّبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمّد البجّاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي (١٩٧٦م).
- **التّبيين عن مذاهب النّحويّين البصريّين والكوفيّين**: أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرّحمن العثيمين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ (١٩٨٦م).
- **تذكرة الحفّاظ**: أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (١٩٩٨م).
- **التّسهيل لعلوم التّنزيل**: أبو القاسم، محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن جزّيّ الكلبيّ الغرناطيّ (٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت (١٤١٦هـ).
- **تفسير القرآن «تفسير السّمعانيّ»**: أبو المظفّر، منصور بن محمّد بن عبد الجبار بن أحمد المروزيّ السّمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرّياض، المملكة العربيّة السعوديّة (١٩٩٧م).

- **تفسير القرآن العظيم «تفسير ابن كثير»**: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمّد سلّامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنّشر والتّوزيع (١٩٩٩م).
- **تفسير القرآن العظيم «تفسير عبد الرّزاق»**: أبو بكر عبد الرّزاق بن همام بن نافع الحميريّ اليمانيّ الصّنعانيّ (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد عبده، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٤١٩هـ).
- **تفسير القرآن العظيم**: ابن أبي حاتم، أبو محمّد عبد الرّحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التّميمي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة (١٤١٩هـ).
- **تفسير مقاتل بن سليمان**: أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزديّ (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت (٢٠٠٣م).
- **التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت نحو: ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، الطبعة الثانية، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق (١٩٩٦م).
- **التّيسير في القراءات السّبع**: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الدّاني، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٨٤م).
- **جامع البيان في تفسير القرآن**: أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (ت: ٣١٠هـ)، دار الحديث، القاهرة (١٩٨٧م).
- **الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان (١٩٦٥م).
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبيّ (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمّد علي معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (١٤١٨هـ).
- **حاشية الخُضَريّ على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**: شرحها وعلّق عليها: تركي فرحان المصطفى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٩٩٨م).

- **حجّة القراءات**: أبو زُرْعَة عبد الرّحمن بن محمّد بن زَنْجَلَة (ت حوالي: ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغانيّ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرّسالة، بيروت (١٩٨٢م).
- **الحجّة في القراءات السّبع**: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الرابعة، دار الشّروق، بيروت (١٤٠١هـ).
- **الحجّة للقرّاء السّبعة**: أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدّين قهوجيّ، وبشير جويجابي، الطبعة الثانية، دار المأمون للتّراث دمشق، بيروت (١٩٩٣م).
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت (١٩٧٤م).
- **الخصائص**: أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمّد علي النّجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة (١٩٩٩م).
- **الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العبّاس، شهاب الدّين، أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم المعروف بالسّمين الحلبيّ (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمّد الخرّاط، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق (١٩٩٤م).
- **ديوان حسّان بن ثابت بن المنذر الأنصاريّ**: أبو الوليد (ت: ٥٤هـ)، تحقيق: سيّد حنفي حسنين، دار المعارف، مصر (١٩٧٧م).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**: شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسينيّ الآلوسيّ (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٤١٥هـ).
- **زاد المسير في علم التّفسير**: أبو الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزيّ (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرّزاق المهديّ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربيّ، بيروت (١٤٢٢هـ).
- **السّبعة في القراءات**: أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى بن العبّاس التّميمي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر (١٤٠٠هـ).

- **السّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير**: شمس الدّين، محمّد بن أحمد الخطيب الشّربينيّ الشّافعيّ (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة (١٢٨٥هـ).
- **شرح التّسهيل**: أبو عبد الله بن مالك محمّد جمال الدّين بن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرّحمن السّيّد، مكتبة الأنجلو المصريّة، (د. ت).
- **شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في النّحو**: خالد بن عبد الله ابن أبي بكر بن محّمد الجرجاويّ الأزهريّ، زين الدّين المصريّ (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).
- **شرح الرّضي على الكافية**: رضيّ الدّين محمّد بن الحسن الاستراباذيّ (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، الطبعة الثانية، جامعة قار يونس، بنغازي (١٩٩٦م).
- **شرح ألفيّة ابن مالك**: ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله بن عقيل (٧٦٩هـ)، الطبعة الرابعة عشر، مصر (١٩٦٤م).
- **شرح الكافية الشّافية**: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، دار المأمون (١٩٨٢م).
- **صحيح البخاريّ «الجامع الصّحيح»**: محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، الطبعة الأولى، دار الشّعب، القاهرة (١٩٨٧م).
- **غاية النّهاية في طبقات القرّاء**: ابن الجزريّ، محمّد بن محمّد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيميّة (١٣٥١هـ).
- **غرائب التّفسير وعجائب التّأويل**: أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، برهان الدّين الكرمانيّ، ويعرف بتاج القرّاء (ت نحو: ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة، جدّة، مؤسّسة علوم القرآن، بيروت، (د. ت).
- **غريب القرآن**: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللّحّام، دار الكتب العلميّة (١٩٧٨م).

- **الكامل في القراءات والأربعين الزّائدة عليها**: أبو القاسم الهُذَلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمّد بن عقيل بن سواده اليشكريّ (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السّيّد بن رفاعي الشّايب، الطبعة الأولى، مؤسّسة سما للتّوزيع والنّشر (٢٠٠٧م).
- **الكتاب**: سيبويه أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٨٨م).
- **الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرّزاق المهديّ، الطبعة الثالثة، دار إحياء التّراث العربيّ بيروت (١٤٠٧هـ).
- **الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها**: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)، الطبعة الرابعة، تحقيق: د. محيي الدّين رمضان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان (١٩٨٧م).
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثّعلبيّ (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمّد بن عاشور، الطبعة الأولى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان (٢٠٠٢م).
- **اللّباب في علوم الكتاب**: أبو حفص سراج الدّين عمر بن علي بن عادل الحنبليّ الدّمشقي النّعمانيّ (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوّض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان (١٩٩٨م).
- **لطائف الإشارات**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيريّ (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر (١٩٩٤م).
- **المبسوط في القراءات العشر**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النّيسابوريّ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق (١٩٨١م).
- **مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمّر بن المثنّى التّيميّ البصريّ (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٣٨١هـ).
- **المحُتَسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح بن جنّي، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان (١٩٩٨م).

- **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: القاضي محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسيّ (ت: ٥٤٦هـ) تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان (٢٠٠١م).
- **مختصر ابن خالويه**: عني بنشره: برجشتراسر، دار الهجرة (١٩٣٤م).
- **مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل**: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدّين النّسفيّ (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيّب، بيروت (١٩٩٨م).
- **مسائل في إعراب القرآن**: ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدّين، أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت: ٧٦١هـ) تحقيق: د. صاحب أبو جناح، مجلّة المورد، المجلّد الثّالث، العدد الثّالث (١٩٧٤م).
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن حنبل أبو عبد الله بن هلال بن أسد الشّيبانيّ (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الثانية، مؤسّسة الرّسالة (١٩٩٩م).
- **مشكل إعراب القرآن**: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب حَمّوش بن محمّد بن مختار القيسيّ (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضّامن، الطبعة الثانية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت (١٤٠٥هـ).
- **معالم التّنزيل في تفسير القرآن**: أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفرّاء البغويّ الشّافعيّ (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرّزاق المهديّ، الطبعة الأولى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت (١٤٢٠هـ).
- **معاني القراءات**: أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهريّ (ت: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، المملكة العربيّة السّعوديّة (١٩٩١م).
- **معاني القرآن وإعرابه**: أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل الزّجّاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت (١٩٨٨م).
- **معاني القرآن**: أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٩٠م).

- **معاني القرآن**: أبو جعفر النّحّاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمّد علي الصّابونيّ، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٩هـ).
- **معاني القرآن**: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلميّ الفرّاء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النّجاتي، ومحمّد علي النّجار، وعبد الفتّاح إسماعيل الشّلبي، الطبعة الأولى، دار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر (١٩٥٥م).
- **معرفة القرّاء الكبار على الطّبقات والأعصار**: أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عبّاس، الطبعة الأولى، مؤسّسة الرّسالة، بيروت (١٤٠٤هـ).
- **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاريّ، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمّد علي حمد الله، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق (١٩٨٥م).
- **مفاتيح الغيب «التّفسير الكبير»**: أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين، فخر الدّين الرّازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
- **منجد المقرئين ومرشد الطّالبين**: محمّد ابن الجزريّ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة (١٩٩٩م).
- **نتائج الفكر في النّحو**: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد السّهيليّ (ت: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٢م).
- **النّشر في القراءات العشر**: محمّد بن الجزري، تحقيق: علي محمّد الضبّاع، المطبعة التّجاريّة الكبرى، (د. ت).
- **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن عليّ بن أبي بكر البقاعيّ (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرّزاق غالب المهديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٩٩٥م).
- **النّكت الدّالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**: أحمد محمّد بن علي بن محمّد الكَرَجيّ القصّاب (ت نحو: ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التّويجريّ، وآخرين، الطبعة الأولى، دار القيّم، دار ابن عفّان (٢٠٠٣م).

- **النّكت في القرآن الكريم «في معاني القرآن الكريم وإعرابه»**: أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِيّ القيروانيّ (ت: ٤٧٩هـ)، تحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطّويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت (٢٠٠٧م).
- **النّكت والعيون**: أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن حبيب البصريّ البغداديّ، الماورديّ (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السّيد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د. ت).
- **الهداية إلى بلوغ النّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه**: أبو محمّد مكّي القيسيّ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعيّة كلّية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، جامعة الشّارقة، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي الواحديّ، النّيسابوريّ، الشّافعيّ (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدّار الشّامية، دمشق، بيروت (١٤١٥هـ).
- **الوجيز في شرح قراءات القَرَأَةِ الثّمانية**: أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأَهوازيّ (ت: ٤٤٦هـ)، تحقيق: دريد حسن أحمد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت (٢٠٠٢م).
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: د. أحمد محمّد صيرة، وآخرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان (١٩٩٤م).
- **وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت (١٩٠٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٣٩
المقدمة	١٤٠
التمهيد: العنوان تعريفه ودلالته	١٤٣
المبحث الأوّل: توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وهما ظاهران	١٤٧
أوّلاً: قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٤٧
ثانياً: قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	١٥٢
ثالثاً: قول الله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾	١٥٦
رابعاً: قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٥٩
خامساً: قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٦٢
سادساً: قول الله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾	١٦٥
سابعاً: قول الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾	١٦٧
ثامناً: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٧٠
تاسعاً: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	١٧١
عاشراً: قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾	١٧٥
المبحث الثّاني: توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولاً، وحذف الفاعل	١٧٧
أوّلاً: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٧٧
ثانياً: قول الله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾	١٧٨
ثالثاً: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	١٨٦
رابعاً: قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	١٩٠
خامساً: قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	١٩١
سادساً: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾	١٩٤
المبحث الثّالث: توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً وحذف المفعول	١٩٨
القسم الأوّل: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	١٩٨
القسم الثّاني: قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٩٩

الموضوع	الصفحة
القسم الثالث: قول الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾	٢٠١
القسم الرابع: قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾	٢٠٣
المبحث الرّابع: وفيه ثلاثة مطالب:	٢٠٥
المطلب الأوّل: توجيه ما قرئ بجعل ما ناب عن الفاعل مفعولاً	٢٠٥
قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	٢٠٥
المطلب الثّاني: توجيه ما قرئ بجعل المفعول فاعلاً وحذف المفعول	٢٠٦
قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	٢٠٦
المطلب الثّالث: وفيه مسألتان:	٢٠٩
المسألة الأُولى: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الأوّل المنصوب مرفوعاً:	
قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾	٢٠٩
المسألة الثّانية: توجيه ما قرئ بجعل المفعول الثّاني المنصوب مرفوعاً:	
قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾	٢١٠
نتائج البحث	٢١٢
فهرست القراءات القرآنيّة وقرّائها	٢١٣
فهرس المصادر والمراجع	٢١٤
فهرس الموضوعات	٢٢٣